

مقاتلٌ من الخرطومِ

كلماتٌ في الجهادِ والإخاءِ والحُبِّ

أبو حذيفة السوداني

بيت المقدس

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

1448هـ 2026م

بيت المقدس

مقاتل من الخرطوم

كلماتٌ في الجهادِ والإخاءِ والحُبِّ

أبو حذيفة السوداني

بيت المقدس

الفهرس

مقدمة الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد؛

فبين أيدينا كتاب جديد للشيخ أبي حذيفة السوداني، ينضم إلى مجموعة مؤلفاته السابقة، «الأمير المنسي» و«خواطر سجين» و«اتكاءة على حد السيف» و«كلمات حب»، و«الآن جاء القتال» والتي انعكس على صفحاتها ظِلٌّ وفاءٍ لشهادة مسلم ينبض قلبه بالجهاد في زمن تداعي الأمم على أمة الإسلام؛ فكتب لا ليؤرخ للأحداث فحسب، بل ليحفظ ما يتركه الزمن من أثر في الأرواح.

أما في هذا الكتاب، «مقاتل من الخرطوم»، فإنه يأخذنا إلى مساحة أكثر وجعاً وأشد التصاقاً بالواقع. فهو لا يتحدث عن بطل متخيَّل، ولا عن تجربة فردية معزولة، بل عن بلاد مسلمة أصابتها العاصفة، ودقت فيها طبول الحرب، وعاث فيها الظالمون فسادًا وطغياناً.

هذه الصفحات هي رحلة مقالات نشرها الشيخ أبو حذيفة على امتداد محور الزمن في أعماق الألم والصمود. ففي كل فصل يطل القارئ على المعاني الإيمانية التي ترسخت في مسيرة الصبر والإباء والتي لا تمحوها المسافات ولا تدافع الأحداث المفجعة.

وفي الختام، لا يسعنا إلا أن نسأل الله تعالى أن يجزي الكاتب خير الجزاء، وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسناته، وأن يبارك في قلمه وفكره، ويفتح عليه من أبواب التوفيق والسداد، وأن يهيئ له من أمره رشداً، ويجعله من أهل الكلمة الصادقة التي تنفع الناس وتبقى آثارها بعد أصحابها. والله وليُّ التوفيق.

بيت المقدس

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين، أما بعد؛

قال تعالى: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ [يونس: 58].

خرجنا من السجن شُمَّ الأنوف
كما تخرج الأسد من غابها...
نمرُّ على شفرات السيوف
ونأتي المنية من بابها...

فالفضل لله وحده، ثابتون صامدون، ماضون على الطريق، لا نَقيل ولا نستقيل.

هذه مجموعة من المقالات كتبتها بعد خروجي من الاعتقال الأخير، مع بعض الإضافات والتعديلات من مقالات قديمة، أضعها بين يدي القارئ الكريم.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل ذلك عملاً صالحاً، ولوجهه خالصاً، وألا يجعل لأحد غيره فيه شيئاً.

وأسأل الله تعالى أن ينفعني بهذا العمل يوم لا ينفع مال ولا بنون؛ فما كان فيه من صواب فمن الله سبحانه وتعالى، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان.

أبو حذيفة السوداني
الاثنين 7 محرم 1448 هجري

الباب الأول:

ألا إن سلعة الله غالية

الحُبُّ النَّبِيلُ...

العبادة تجمع كمال الحب وكمال الذل.

والقتال في سبيل الله عبادة من أعظم القربات إلى الله. قال تعالى: ﴿**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [المائدة: 54].

الحب صلة إلهية

حبٌّ محفوف بإجلال الله وتعظيمه.

وحين تذوق طعم الحب، وتسري أنواره في شعاب نفسك، وتعيش أُنس المعية، حينها تفيضُ شوقاً إلى الله، ويحدوك الحنين إلى غرف الجنة، ويبسط الحب سلطانه على قلبك، فيحلِّق به بعيداً، ويعرج به إلى الملأ الأعلى، تَعافُ نفسك الدنيا، وتشتاق إلى الرحيل إلى لقاء الله.

القتال في سبيل الله باب الخير، تخرج به من الدنيا طلباً لرضوان الله، بابٌ مفتاحه صفاء الحب، حبٌّ فريد، مشكاة تتوهج في القلب، صفاء يكسو الوجه، غيثٌ يهطل بالشوق، يغسل الفؤاد من دنس الدنيا وأدرانها، وينزع من القلب حبها والتعلق بها، فيكره الدنيا ويعشق القتل في سبيل الله.

هذا الحب عجيب في كل أحواله، تسترخص معه نفسك في سبيل الله، فيُثمر فيك فرحاً بالقتال، وطرباً بالغزو، وعشقاً للمعارك، يغدو قتالك في سبيل الله حباً، ويصير الحب باعثاً لك على القتال ومعيناً عليه وحادياً إليه، تتقلّب على جمر الشوق، لا تكاد تفرغ من قتال حتى تنصرف إلى غيره، ولا تنفض ثيابك من غبار معركة حتى تغذَّ السير إلى أختها، إنه الحب النبيل، الذي تغدو معه صحراء القتال الموحشة مروجاً خضراء تتهادى فيها صفاءً وفرحاً وبُشرى.

كلما عظم حبك لله أورثك عشقاً للقتال وهياماً وكلفاً به، وهنا تشهد منة رب العالمين عليك حين اصطفاك في زمرة المجاهدين الذين ﴿**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ [المائدة: 54].

جِيلُ الطليعةِ المُقاوِمةِ...

في عام1990م بعد اجتياح (صدام) للكويت ونزول القوات الأمريكية إلى منطقة الخليج، أصدر أبو مصعب السوري رحمه الله حياً وميتاً بياناً من ثلاث صفحا في (بيشاور) الباكستانية بعنوان (المقاومة الإسلامية العالمية) يدعو فيها لقتال العدو في أرجاء الأرض حيثما وجد من خلال خلايا صغيرة غير مرتبطة ببعض، تقوم بعمليات نوعية، ثم تنسبها إلى جسم هلامي لا وجود له باسم (المقاومة الإسلامية العالمية).

في تلك الأيام كنت قد التقيت أبا مصعب في (بيشاور) وكنت وقتها مصاباً تحت العلاج، فتشاورت معه في بعض الأعمال في الخليج، وأفادني ونصحني بما فتح الله عليه من خبرات وتجارب، ثم أدخلني مكتبته الخاصة، وأذِن لي أن أنسخ منها ما شئت، وجدت في تلك المكتبة نوادر وكنوز من كتب حروب العصابات والحرب الثورية، فقمت بتصوير ونسخ وتغليف العديد منها، مما كان له عظيم الأثر عليّ، وأسهم في تشكيل رؤيتي عن ذلك النوع من الحروب.

عدتُ بتلك الكنوز معي إلى السودان وظلت في مكتبتي سنين عددا، حتى فقدتها في الحرب الأخيرة على يد قوات الدعم السريع، فالحمد لله على ما قدر وقضى، والعلم كما يقول أهلنا هنا (في الراس وليس في الكرّاس).

تلك الورقات الثلاث التي كتبها أبو مصعب أبان حرب الخليج الثانية تطورت فيما بعد إلى كتاب ضخم وسِفْر جليل، حريٌّ بكل أخ مجاهد أن يقتنيه وأن يكون ضمن مكتبته الخاصة.

أنصح كل أخ من أعماق قلبي أن يقرأ كتاب (دعوة المقاومة الإسلامية العالمية) لأبي مصعب السوري رحمه الله، قراءة متأنية بوعي وتركيز ورغبة في التنفيذ.

إن ما كتبه أبو مصعب السوري في ذلك الكتاب القيم،
وما تركه الإمام المؤسس أبو عبد الله من فكر وإرث
ليخرجان من (مشكاة) واحدة.

هذه الأحداث الجارية أكدت صدق وعمق الرؤية الشرعية والعسكرية والسياسية للقادة الأوائل تقبلهم الله وثبّت الأحياء منهم على الحق المبين.

حربنا هي معركة واحدة
على جبهات متعددة ضد عدو متحد.

وسيلتنا هي استنزاف العدو وإنهاكه
عبر حرب عصابات طويلة المدى.

العدو يقاتلنا على اعتبار أننا (كتلة واحدة)،
فيجب أن نقاتله على أنه كذلك (شيء واحد).

ينبغي أن نهبّ وأن ننتفض جميعاً في وجه هذا العدو
والهبّة والانتفاضة لا ينبغي أن تقتصر على (بلد) واحد،
بل يجب أن تكون:
في جميع الأطراف والبلدان
وفي عقر دار العدو.

مجرد بقاء (الراية) مرفوعة
وأن نملك القدرة على الوصول إلى العدو
وتجاوز حواجزه الأمنية هو (انتصار) في حد ذاته،
أبلغ رسائله (أننا موجودون)

وأننا ما زلنا نملك الإرادة القتالية وروح المقاومة.

النصر لا يأتي بضربة واحدة،
ولا من خلال معركة واحدة،
بل يأتي عبر سلسلة طويلة من التضحيات.

عمليات النكاية (صغيرة) كانت أو (كبيرة)،
ستؤدي في نهاية المطاف إلى (التمكين) بإذن الله.

نحن جزء من هذه (الأمة)
ورأس (حربة) الصدام،
ونحن للأمة (كالصاعق) بالنسبة (للمتفجرات)،
نعمل جاهدين على تفجير طاقات الأمة لمواجهة العدو.

المسلم يؤدي واجبه الشرعي في هذه المعركة لا يلتفت إلى الوراء ثم يمضي إلى ربه، وقد لا يرى الثمرة، ولكن يكفيه أن يترك (أثراً) خلفه يمضي عليه من بعده، ويبذر (بذرة) تنبت في (الأرض) يتعاهدها غيره (بدمائه) حتى تثمر (شجرة) الجهاد.

قال الشيخ زيد بلال (فك الله أسره):
"لأننا (طليعة) هذا الجيل فنحن من سيتلقى الضربات "الجاهلية" الأولى، والتي ربما تستمر بضعة أعوام أو عشرات، ستكون كافية -بإذن الله- لاكتمال البعث الإسلامي الأممي، لكننا لن نكون حاضرين كجيل لنرى أثر أفعالنا. ذكرت من قبل

أن المسـلمين ظلـوا يقـاتلون الحمـلات الصـليبية منـذ نـزولهم في 492 هـ فـرادى وجماعات بلا دولة ولا مرجعية سياسية لمدة 47 سنة، حتى ظهر عماد الدين زنكي وحـرر الرهـا 539 هـ وقامـت أول إمـارة. لا نعـرف هـؤلاء الفـرادى والأشـخاص والجماعـات الصـغيرة العـدد المتواضعة الخبرات الـذين كونـوا جيـل الطليعـة المقاومـة، لكن الذي نعرفه قطعا بعد تلاشيهم أنه قام على أكتافهم وأفعالهم إمارات آل زنكي ثم فتوح الناصر صلاح الدين."

المحافظةُ على الهدف...

في المشـهد الـذي نعيشـه اليـوم (صـراع الكفـر الأصـلي مـع الرافضـة)، تقـف الأمـة المسلمة على (الهامش) تتفرج على الأحداث الجارية لا في العير ولا في النفير، إلا بقية من ذلك التيار المبارك الذي جعل غايته (تحقيق التوحيد ونبذ الشرك والتنديد)، وارتضى (الدعوة والقتال) وسيلة له لتحقيق تلك الغاية الشرعية.

نحن أصحاب قضية، ولنا مشروعنا الخاص الذي نعمل عليه منذ أيام الإمام المؤسس أبي عبد الله رحمه الله تعالى، وقد أثبتت الأيام والأحداث بعد النظر وعمق الرؤية التي كان يتمتع بها الإمام رحمه الله تعالى.

من مبادئ الحرب الثمانية التي تعلمناها مبدأ مهم اسمه (المحافظة على الهدف)، لذا ينبغي الحرص على ضبط البوصلة تجاه الهدف، حتى لا نبتعد أو نضل الطريق ونظل محافظين على استراتيجيتنا واستقلالية مشروعنا.

كل الذي يهمنا في هذا الحدث الحالي هو كيفية الاستفادة منه في دعم مشروعنا، والنهوض بقضيتنا، وإكمال المسيرة المباركة بخطوات واثقة بنصر الله مطمئنة إلى ربها متوكلة عليه.

الحياة عبارة عن (مشاريع)، وما يحدث الآن هو صراع بين (مشروعين)، لكل مشروع منهما أجندة وأهداف خاصة به، لا تتفق مع (مشروعنا)، بل (أهل السنة) هم العدو المشترك لأصحاب المشروعين، ونحن لسنا ملزمين لا شرعاً ولا عقلاً بالانحياز إلى أحدهما أو الاصطفاف معه في وجه الآخر، بل الواجب علينا (استغلال) الظرف واللحظة لخدمة (مشروعنا) الخاص بنا سياسياً وعسكرياً.

كل هذا الضجيج والصياح قد عاشرناه من قبل أثناء حرب الخليج الثانية، بعد اجتياح الكويت من قبل النظام العراقي ودخول القوات الأجنبية وقصف صدام حسين لإسرائيل، وما حدث عقب ذلك من سجالات وحوارات داخل التيارات الإسلامية حول ذلك الحدث وانقسام الناس في التأييد والاصطفاف، والقبول والمعارضة.

(إن الحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث) كما قال عمر ﷺ، وكم كان يحلو للإمام أبي عبد الله أن يردد هذه العبارة ويستشهد بها، فقد كان رحمه الله هادئ الطبع

عميق النظرة يمارس الحرب وينظّر لها استراتيجياً، ويعلم الله كم كان يطيب لي الجلوس في حضرة وقاره، وكم كنت أستمتع بالإنصات إليه وهو يحلل ويشرح فكرته ونظريته كما يفعل أي (أستاذ جامعة) وهو يلقي(محاضرة) في مدرج طلابي.

نحن أمل هذه الأمة ورأس الحربة، فينبغي أن نكون على قدر التحدي، ثباتاً ورجولة وبطولة وإصراراً وعزيمةً، رجال لا تهاب الموت في سبيل الله، تضحي حين تضحي خالصة لوجه الله، من أي غرض دنيوي، تمضي على هذا الطريق وهي تتطلع إلى الخلود الأبدي في الجنة، خلصت من حظ نفوسها حتى حظوظ النصر، لا هدف لها إلا أن تكون كلمة الله هي العليا، سواء أدركت النصر أو لم تدركه، حسبها أن تكون جسراً إلى النصر، ولبنة في بنائه، وتمهيداً لجيل التمكين.

إن هذا الطريق شاق،

وتكاليفه عظيمة، هذا الطريق لا يُقطع بالأقدام، بل بالقلوب التي عرفت (الله) فلزمت، فإن هذه المعرفة هي الوقود والمحرك، وسبيلها هو العلم بأسماء الله وصفاته والعمل بمقتضاها، وتعميق ذلك من خلال تدبر القرآن، والاجتهاد في العمل الصالح خاصة قيام الليل، وإدامة ذكر الله تعالى، فاجتهد يا عبد الله في طاعة الله وعبادته، والتقرب إليه، فالعبادة تُنير القلب، ومن نوَّرَ الله قلبه هانت عليه تكاليف الطريق.

سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ...

من غير المثير للاستغراب ذلك الضيق الشديد الذي يقابل به العدوّ بضع (كلمات) نكتبها في الفضاء العام، سبحان الله كيف يمكن أن يستفزّ نشر (مقالات) كُتبت على عَجَلٍ أجهزة أمنية ومراكز دراسات وأبحاث، هل ما نطرحه يحمل هذا التأثير؟!!..

إن ذلك يكشف عن شيء أعمق: خوف دفين وحقيقي، هؤلاء لا يزعجهم ما يُقال بقدر ما يرعبهم ما قد يُعاد إحياؤه، إنهم يدركون أن ما نحمله من وعي وإرادة هو تهديد مباشر لكل الزيف الذي كافحوا لتثبيته، والوهم الذي حاولوا فرضه بالقوة الناعمة حيناً وبالعنف حيناً آخر.

ما نفعله اليوم هو استعادة للاستراتيجية التي بناها الإمام المؤسس (أبو عبد الله) رحمه الله، تلك (الرؤية) كانت حدثاً مفصلياً حين أعلن عنها صاحبها، إنها ليست مجرد رؤية لقتال مسلح، بل هي زلزال وجودي قلب كل شيء رأساً على عقب، جاءت لتكسر القوالب الذهنية القديمة، ولتجبر الجميع على إعادة النظر في استراتيجياتهم ورؤاهم وخططهم.

تلك (الرؤية) وُلِدت لتبقى بإذن الله، لم تُولد لتُطفأ، إنها نار كاشفة تحرق القديم وتُمهد الطريق لتكوين جيل جديد أكثر وعياً، وأصلب إرادة، وأكثر استعداداً لمواصلة المسيرة المباركة وتقديم التضحيات والصبر على مشاق الطريق وضريبة النصر.

لقد تعمّق أثر (الرؤية) الشرعية والسياسية والعسكرية للإمام رحمه الله، وتجلّى عمق أثَرِها في (غزوة سبتمبر) المباركة، وازدادت استحالة العودة إلى الوراء.

آن الأوان أن نفسح المجال لدماء جديدة،
تستلم الراية، وتخوض (معركة الوعي).

لقد كان من واجبي أن أنفض الغبار عن (رؤية) إمامنا رحمه الله تعالى، ولا أزعم اليوم أنني اصبحتُ زاهداً في الكتابة، لكن لا بد لهذا القلم من (استراحة) يلتقط فيها أنفاسه، بعد رحلة طويلة كان فيها بفضل الله أكثر استعداداً لقول (الحق) مهما كانت الضريبة، (سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه، فقتله). رواه الحاكم وصححه والخطيب، وصححه الألباني.

وَما نَيلُ المِطالِبِ بِالتَمَنّي
وَلَكِن تُؤخَذُ الدُنيا غِلابا...
وَما استَعصى عَلى قَومٍ مَنالٌ
إِذا الإِقدامُ كانَ لَهُم رِكابا...

نحن نُعيد كتابة الرواية من جديد.
بحول الله وقوته.

الْوَصِيَّةُ الْخَالِدَةُ...

اخترت هذه الفقرات من وصية الإمام الشهيد أبي مُحَمَّد عبد الله عزام رحمه الله، وأتمنى من الإخوة الأحباب الرجوع إلى الوصية كاملة وقراءتها بين الفينة والأخرى حتى لا تضل بوصلتنا.

قال رحمه الله تعالى:

فيا أيها المسلمون؛

حياتكم الجهاد، وعزكم الجهاد،

ووجودكم مرتبط ارتباطاً مصيرياً بالجهاد.

يا أيها الدعاة؛

لا قيمة لكم تحت الشمس إلا إذا امتشقتم أسلحتكم وأبدتم خضراء الطواغيت والكفار والظالمين. إن الذين يظنون أن دين الله يمكن أن ينتصر بدون جهاد وقتال ودماء وأشلاء؛ هؤلاء واهمون لا يدركون طبيعة هذا الدين.

إن هيبة الدعاة وشوكة الدعوة وعزة المسلمين لن تكون بدون قتال، «ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن»، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: (حب الدنيا وكراهية الموت)، وفي رواية: (وكراهية القتال)، **﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾**.

إن الشرك سيعم ويسود بدون قتال:

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾،

والفتنة هي الشرك.

إن الجهاد هو الضمان الوحيد لصلاح الأرض:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾.

إن الجهاد هو الضمان الوحيد لحفظ الشعائر وبيوت العبادة:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾.

يا دعاة الإسلام؛

احرصوا على الموت توهب لكم الحياة، ولا تغرنكم الأماني، ولا يغرنكم بالله الغرور. وإياكم أن تخدعوا أنفسكم بكتب تقرأونها، وبنوافل تزاولونها، ولا يحملنكم الانشغال بالأمور المريحة عن الأمور العظيمة: **﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ...﴾**، ولا تطيعوا أحداً في الجهاد؛ لا إذن لقائد في النفير إلى الجهاد، إن الجهاد قوائم دعوتكم، وحصن دينكم، وترس شريعتكم.

يا علماء الإسلام؛

تقدموا لقيادة هذا الجيل الراجع إلى ربه، ولا تنكلوا وتركنوا إلى الدنيا، وإياكم وموائد الطواغيت؛ فإنها تظلم القلوب، وتميت الأفئدة، وتحجزكم عن الجيل، وتحول بين قلوبهم وبينكم.

الحَنِينُ إلى الجِهاد...

القتالُ في سبيل الله سراج الحُبِّ حين يتوهَّج في القلب، فيضيء الدرب، وتثور الأشواق، وتهيج الذكريات.

من ذروة السنام إلى سفح الجبل، من قمة الأمجاد إلى قاع المدينة، من ميدان المعارك إلى الصفق بالأسواق، هل مات القلب؟!!..

كفى حَزَناً أن تُطعَنَ الخيلُ بالقَنا
وأُصبِحَ مَشدوداً عليَّ وَثاقيا...

القتال في سبيل الله حُبٌّ..
وإذا عَظُمَ هذا الحب في القلب..
وحِيلَ بين صاحبه وبين مُرادِه..
عندها يتوارى الكلام تحت ظلال الفَقْد وألم البُعد..
ويكون الحديث بلسان الدمع والصمت..

وَكُنتُ إِذا سَأَلتُ القَلبَ يَوماً
تَوَلّى الدَمعُ عَن قَلبي الجَوابا...

أعظم صفات المحبين الوفاء..
كن وفياً محباً..

اتق الله في عهدك معه على قتال أعدائه..

جَدِّد البيعة على الموت في سبيله..

لا تبرح باب الله..

كن منكسراً مُطرِقاً مُتذلِّلاً..

دعاءً ومسألةً وإلحاحاً وتَضرُّعاً..

مُلتَمِساً فَرَجاً قريباً..

ربِّ دَبِّر لي أمري فإني لا أحسن التدبير..

واختر لي فإني لا أحسن الاختيار..

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

قال سيد قطب رحمه الله:

إنها ثقلة الأرض، ومطامع الأرض، وتصورات الأرض، ثقلة الخوف على الحياة، والخوف على المال، والخوف على اللذائذ والمصالح والمتاع.. ثقلة الدعة والراحة والاستقرار.. ثقلة الذات الفانية والأجل المحدود والهدف القريب.. ثقلة اللحم والدم والتراب ..

والتعبير يلقي كل هذه الظلال بجرس ألفاظه: ﴿**اثَّاقَلْتُمْ**﴾، وهي بجرسها تمثل الجسم المسترخي الثقيل، يرفعه الرافعون في جهد فيسقط منهم في ثقل. ويلقيها بمعنى ألفاظه: ﴿**اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ**﴾ وما لها من جاذبية تشد إلى أسفل، وتقاوم رفرفة الأرواح وانطلاق الأشواق.

إن النفرة للجهاد في سبيل الله انطلاق من قيد الأرض، وارتفاع على ثقلة اللحم والدم، وتحقيق للمعنى العلوي في الإنسان، وتغليب لعنصر الشوق المجنح في كيانه على عنصر القيد والضرورة، وتطلع إلى الخلود الممتد، وخلاص من الفناء المحدود.

﴿**أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ**﴾

وما يحجم ذو عقيدة في الله عن النفرة للجهاد في سبيله، إلا وفي هذه العقيدة دخل، وفي إيمان صاحبها بها وهن. لذلك يقول الرسول ﷺ: «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من شعب النفاق». فالنفاق -وهو دخل في العقيدة يعوقها عن الصحة والكمال- هو الذي يقعد بمن يزعم أنه على عقيدة عن الجهاد في سبيل الله خشية الموت أو الفقر، والآجال بيد الله، والرزق من عند الله. وما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في الفتاوى (312/15): "كذلك من يترك الجهاد الذي لا مصلحة لهم بدونه، فإنه يُعاقب بهجرهم له لما لم يعاونهم على البر والتقوى، فالزناة واللوطية وتارك الجهاد وأهل البِدع وشربة الخمر، هؤلاء كلهم

ومخالطتهم مُضِرَّةٌ على دين الإسلام، وليس فيهم معاونة لا على بر ولا على تقوى، فمن لم يهجرهم كان تاركًا للمأمور فاعلًا للمحظور".

تأمّل كيف عَطَفَ شيخُ الإسلام

تاركَ الجهاد

على الزناة واللوطية..

لمثل هذا يــذوبُ القلبُ من كَمَدٍ

إن كان في القلـب إسلامٌ وإيمانُ...

نسأل الله العافية.

عَلَى خُطَى عَمَّارٍ: جِهَادٌ لَا يَحُدُّهُ زَمَنٌ...

إن العمر في ميزان الإيمان ليس عداداً للسنين، بل هو رصيد من العطاء لا ينفد إلا بخروج الروح. ولعل النداء الذي يوجه للرجل "الأربعيني" ليذكره بأن القوة تكمن في القلب لا في العضلات، هو استنهاض للهمة في وقت يظن فيه البعض أن قطار العطاء قد بدأ يهدئ من سرعته.

روح لا تشيخ وعزيمة لا تنكسر..

عندما يبلغ الإنسان الأربعين، فإنه يصل إلى مرحلة "أَشُدَّه"، وهي مرحلة نضج العقل واكتمال الحكمة، وليست محطة للتقاعد عن معالي الأمور. إن حجة "تقدم السن" تتهاوى تماماً أمام عظمة النماذج التاريخية التي سطرها الصحابة الكرام.

لقد قدم لنا الصحابي الجليل عمار بن ياسر رضي الله عنه درساً في الإرادة يتجاوز حدود المنطق البشري المعتاد، خاض ملحمة "صفين" وهو يبلغ من العمر 93 عاماً، لم يمنعه وهن العظم ولا اشتعال الرأس شيباً من حمل سيفه والذود عن الحق.

إن الجسد قد يضعف، لكن العقيدة المشتعلة في الصدور تمنح صاحبها قوة الشباب وعنفوان الفرسان.

العمر مجرد رقم..

لا تجعل الأربعين أو الخمسين عذراً للفتور، فالنبي ﷺ بُعث وهو في الأربعين، فغير وجه التاريخ، أنت الآن في أوج حكمتك، ودينك أحوج ما يكون إلى سداد رأيك وثبات قدمك، إن من عاش على شيء مات عليه، ومن اعتاد العطاء شاب عليه.

إذا كانت الأبدان تخضع لقانون الزمن، فإن الأرواح المؤمنة تسمو فوقه. كن كعمار بن ياسر، اجعل آخر أيامك في الدنيا هي أكثرها عطاءً وجهاداً، ولا تسمح لليأس أن يتسلل إلى قلبك بحجة "تقدم العمر"، فالفارس الحقيقي هو من يترجل عن صهوة جواده وقد بلغ القمة.

أما أنت أيها الشاب الموحد..

يوماً ما..

ستكتشف أن الكثيرين ممن حولك قد سبقوك على درب الجهاد في طريقهم إلى الله؛ وأنت لازلت قابعاً خلف شاشة جهازك؛ تتناثر سنوات عمرك من بين أصابعك كما تتناثر حبّات الرمل؛ أحلى أيام حياتك وأجمل سنوات عطائك قضيتها بعيداً عن ساحات النزال؛ لم تلج باب الجهاد؛ ولم تغبر قدميك في سبيل الله؛ ولم تطلق طلقة واحدة في نحور أعداء الله.

المسلم إما أن يجاهد في بلده..

أو يهاجر ليجاهد في بلد آخر تُقام فيه راية الجهاد.

وفي كل الأحوال..

ينبغي عليه الاهتمام بالتدريب العسكري

وإعداد نفسه وتأهيلها لهذه العبادة العظيمة

وأن يعدّ العدّة للجهاد بانتظار الفرصة المناسبة.

يجب أن تكون صاحب قضية؛ تعيش من أجلها؛ هي شغلك الشاغل في هذه الحياة؛ تتغلغل في سويداء قلبك؛ تجعلها هدفك وغايتك التي تحيا وتموت من أجلها.

لكن أن تكون بلا مشروع تسعى له..

فتقعد بلا هدف..

وتعيش بلا برنامج..

ثم تنكص على عقبيك..

فليس هذا سبيل الموحدين..

ولا طريق أتباع الرسل.

المُختصَرُ المُفِيدُ...

تسعى الجاهلية المعاصرة بزعامة رأس الأفعى (أمريكا)، ووكلائها الإقليميين وأذنابهم من الحكومات الوظيفية من أجل (الهيمنة والسيطرة) على بلاد المسلمين، من خلال (مخطط) يقوم على محاربة الإسلام الحقيقي وإفساد أهله، وفرض العلمانية وفصل الدين عن الدولة، وسرقة ونهب خيرات وثروات المسلمين.

قام التيار الجهادي بالتصدي لمشروع الجاهلية المعاصرة، ومقاومة سلطانها من خلال (الجهاد والاستشهاد)؛ وتوعية الأمة بذلك المخطط وخطورته، فهو (رأس حربة) الأمة المسلمة في هذه المعركة التي فقد فيها خيرة قادته وأبنائه، ولم يُلاحق أو يُطارد تيار كما لُوحِق وطورِد أبناء الحركة الجهادية.

المستقبل بإذن الله تعالى للتيار الجهادي، لأنه تيار له (مشروع) ورؤية واضحة مبنية على حكم الله الشرعي في واقعنا المعاصر، وعلى معطيات الواقع والأحداث والتاريخ فهو مشروع سياسي عسكري غايته (تحقيق التوحيد ونبذ الشرك والتنديد)، ووسيلته (الدعوة والقتال)، لا سلمية عاجزة ولا ديمقراطية فاجرة.

الصادقُ سَيصِلُ...

من أعظم المقامات وأشرف الأحوال وأعلى المراتب، توكّلك على الله في أن تكون مجاهداً في سبيل الله.

تهتف من أعماق قلبك، وتصيح كل ذرة في جسدك، ولكن بصدق وطمأنينة وثقة بالله وبكفايته فإن بيده سبحانه وتعالى مقاليد كل شيء، اللهم توكلت عليك في أن أجاهد في سبيلك، اللهم توكلت عليك في أن أقاتل أعداءك، اللهم دبر لي أمري فإني لا أحسن التدبير، اللهم اختر لي فإني لا أحسن الاختيار.

من عرف ربه حق المعرفة، وامتلأ قلبه بمعاني أسمائه وصفاته، علِمَ يقيناً أن عبداً توكل على مولاه واعتمد عليه في أن يجاهد في سبيله ويقاتل أعداءه وينصر دينه، لن يتخلى عنه، سيهديه إلى عبادته بالقتال في سبيله وسيدبر أموره حتى يجد نفسه بين المجاهدين، وسيوفقّه إلى اختيارات صحيحة.

عليك بالصدق في النية والطلب..

الصادق سيصل..

أنت قد بِعتَ والله اشترى..

اليقين هو أن تعلم أنَّ الله قادر

حتى وإن كانت الأسباب حولك

تقول لك مستحيل...

قال تعالى:

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

قال الإمام الطبري:

حدثنا العباس قال:

أخبرنا يزيد قال:

أخبرنا الأصبغ بن زيد قال:

ثنا القاسم قال:

ثنا سعيد بن جُبَيْر

عن ابن عباس قال:

خرج موسى متوجها نحو مدين؛

وليس له علم بالطريق

إلا حسن ظنه بربه؛

فإنه قال:

﴿ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

في صحيح مسلم:

"لَلّهُ أشَدُّ فَرَحًا بتَوْبَةِ أحَدِكُمْ، مِن أحَدِكُمْ بضالَّتِهِ، إذا وجَدَها".

فكيف بفرح الله بعبده إذا جاءه تائباً من ذنب (القعود) عن الجهاد العيني (والتخلّف) عن القتال الواجب.

كيف بفرح الله بعبده إذا عزم على نصرة دين الله وتحقيق التوحيد بقتال أعداء الله وموالاة المؤمنين والدفاع عنهم وبذل دمه لتطبيق شرع الله.

عبد عزم على نصرة الله والله لن يخذله الله ولن يكِله إلى نفسه أو إلى عدوه، سيتولاه رب العالمين وينصره وييسره له طُرَق الخير ويدبر أمره ويختار له الأصلح في دينه ودنياه.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

الصادق سيصل

بحول الله وقوته.

بناءُ الإرادةِ...

المجاهد في سيره إلى الله يحرص على الطاعات والأعمال الصالحة فإنها مهر الثبات على هذا الطريق الشاق الطويل.

من ذلك الإكثار من الصيام المشروع خاصة في الأيام الفاضلة التي رغّب الشارع فيها وحثّ عليها، ينبغي أن يكون من أولويات البرنامج التعبدي للمجاهد.

وفي الصوم عامة معنيان عظيمان

الأول:

الأجر العظيم المترتب عليه، ففي الحديث الصحيح، قَالَ اللهُ عَزَّ وجلَّ: كُلُّ عملِ ابْنِ آدَمَ لهُ إِلاَّ الصِّيام، فَإِنَّهُ لِي وأَنَا أَجْزِي بِهِ.

الثاني:

تقوية الإرادة الصلبة وبناء العزيمة القوية، وهو عين ما يحتاجه المجاهد في رحلته على درب الجهاد وما يعتريه أثناء الطريق من تكاليف ومشاق ولأواء تحتاج إلى إرادة صلبة وعزيمة جبارة.

قال سيد قطب رحمه الله:

"ولقد كان من الطبيعي أن يفرض الصوم على الأمة التي يفرض عليها الجهاد في سبيل الله، لتقرير منهجه في الأرض، وللقوامة به على البشرية، وللشهادة على الناس، فالصوم هو مجال تقرير الإرادة العازمة الجازمة، ومجال اتصال الإنسان بربه اتصال طاعة وانقياد، كما أنه مجال الاستعلاء على ضرورات الجسد كلها، واحتمال ضغطها وثقلها، إيثاراً لما عند الله من الرضى والمتاع.

وهذه كلها عناصر لازمة في إعداد النفوس لاحتمال مشقات الطريق المفروش بالعقبات والأشواك، والذي تتناثر على جوانبه الرغاب والشهوات، والذي تهتف بسالكيه آلاف المغريات".

وأيضاً يحرص على قيام الليل، فإنه ضرورة لا بدّ منها للمجاهد في سبيل الله؛

فالأنس بالله وبتلاوة كلامه في صلاة الليل تثبِّتُ المجاهد على هذا الطريق الشاق؛ طريق البذل والتضحية والقتال.

فمن لم يتحمّل مشقة القيام في الليل كيف له أن يتحمّل مشقة القيام في الصفّ للقتال في سبيل الله.

احرصوا على قلوبكم وعلى طهارتها وتزكيتها فإنها هي التي تحملكم في الطريق إلى الله؛ إنها لا تحملكم أجسادكم، وربنا رب قلوب.

الحُورُ العِينُ...

يقول أهل العلم:

(فقه البخاري في تراجمه)

يشيرون بذلك إلى أسلوب الإمام البخاري في صياغة عناوين الأبواب في صحيحه.

في كتاب الجهاد والسير، ترجم أحد أبوابه بعنوان: (باب الحور العين وصفتهن يُحار فيها الطرف شديدة سواد العين شديدة بياض العين).

تحت هذه الترجمة أورد حديثين،

كلاهما عن أنس ﷺ:

الحديث الأول:

"ما من عبد يموت له عند الله خير يسره أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى".

الحديث الثاني:

ونذكر منه الشاهد فقط

"ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها".

هنا يتبادر إلى الذهن سؤالان

السؤال الأول:

لماذا ذكر البخاري هذا الباب باب (الحور العين وصفتهن) في كتاب الجهاد والسير.

السؤال الثاني:

ما علاقة حديث أنس الأول بباب (الحور العين وصفتهن)، ولماذا ذكره البخاري تحت هذه الترجمة على الرغم من أن الحديث لم يتعرض لذكر الحور ولا لذكر صفتهن، كل ما في الحديث أن الشهيد يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى لما يرى من فضل الشهادة، فما هو السبب الذي جعل البخاري يأتي به هنا في هذا الباب.

إذا عرفت إجابة السؤال الثاني

عرفت بلا شك إجابة السؤال الأول.

قال المهلب:

إنما أورد حديث أنس هذا ليبين المعنى الذي من أجله يتمنى الشهيد أن يرجع إلى الدنيا ليقتل مرة أخرى في سبيل الله، لكونه يرى من الكرامة بالشهادة فوق ما في نفسه، إذ كل واحدة يعطاها من الحور العين لو اطلعت على الدنيا لأضاءت كلها؛ انتهى.

وعقب الحافظ ابن حجر فقال تأييداً لذلك:

وروى ابن ماجه من طريق شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: ذكر الشهيد عند النبي ﷺ فقال: «لا تجف الأرض من دم الشهيد حتى تبتدره زوجتاه من الحور العين وفي يد كل واحدة منها حلة خير من الدنيا وما فيها».

ولأحمد والطبراني من حديث عبادة بن الصامت مرفوعاً أن للشهيد عند الله سبع خصال فذكر الحديث وفيه ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، إسناده حسن، وأخرجه الترمذي من حديث المقدام بن معد يكرب وصححه، انتهى.

سبحان الله..

ما أفقه البخاري..

وما أوسع علمه..

اللهم نسألك شهادة في سبيلك..

ترضى بها عنّا..

إِمَامُ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ...

العلماء هم صمام أمان الحركة الجهادية، وأي هدم أو إسقاط لهؤلاء العلماء إنما هو هدم وإسقاط للحركة الجهادية؛ من حيث نشعر أو لا نشعر، لأنها عند ذلك تصبح حركة منفلتة بلا عقال يضبطها من الإفراط أو التفريط، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم وبفضل الله سبحانه وتعالى لا تخلو بلادنا من قائم لله بحجة –نحسبهم كذلك والله حسيبهم– أئمة هدى ومصابيح دجى، مؤمنين بالله كافرين بالطاغوت، صادعين بالحق لا يخافون في الله لومة لائم؛ هم والله تيجان الرؤوس وقرة العيون، وكما قيل: «العين لا تعلو على الحاجب».

قد نختلف مع بعض أولئك الأفاضل في (بعض) وسائل التغيير، وسياسة الحركة، وطرائق العمل، قد نختلف في التوقيت واستغلال المتاح من الظرف الذي تهيّأ، ولكنه اختلاف لا يُذهب الود؛ فإن اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية.

وإنما نحن وأولئك الأفاضل الأكارم كما قال الخضر عليه السلام لموسى: «يا موسَى إنَّكَ علَى علمٍ مِن علمِ اللهِ علَّمَكَهُ اللهُ لا أعلمُهُ، وأَنا علَى علمٍ مِن علمِ اللهِ علَّمَنيهِ لا تعلمُهُ».

كم نتمنى أن يكون علماؤنا وسادتنا في مقدمة الصفوف، يلبسون لأمة الحرب، كم نرجو أن نراهم وسط أحبابهم يقودون المسيرة ويضبطون البوصلة، فإنهم مخاطبون بجهاديْن، ومأمورون بفرضيْن، جهاد الحجة والبيان، وجهاد السيف والسنان، ليكونوا (شيوخ المنابر والحروب)، ويومئذ يفرح بهم أحبابهم المجاهدون.

أيها المجاهدون،

لا تفرطوا في علمائكم؛

فإنهم دروعكم،

تقيكم التمييع والغلو.

وأيها العلماء،

حافظوا على المجاهدين،

فإنهم أسودكم

حتى لا تأكلكم كلاب الكفر والردة.

ضَرِيبَةُ الصَّدَارَةِ...

قال تعالى: ﴿**وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون**﴾ سورة السجدة (24)، قال ابن تيمية رحمه الله: "بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين".

الإمامة في الدين منزلة عالية،

ودرجة رفيعة لا يُوفَّق إليها إلا ذو حظ عظيم.

الإمامةُ أمانةُ العظماءِ لا غنيمةُ الضعفاء، والزعامةُ لا تُصنع من الوهم؛ بل على جسرٍ من التعب والألم تُصنعُ الرموزُ الحقيقية. إن الطريق إلى الإمامة طريقٌ وعر،

فلسفته الدم واليقين حين تُبنى المراتب بالتضحيات والدماء، فصاحبها لا يعرف الرخصة ولا يتعاطى التقية؛ فإن هذا الدين عظيم لا يقوم على أكتاف المترخصين من الرجال، وإنما يقوم على أكتاف ذوي العزمات.

الإمامة تقتضي التضحية والثبات؛ أن تكون آية في بذل مهجتك رخيصة من أجل الدين، أن تكون آية في العزة والأنفة فلا تخضع لعدوك ولا تركع أمام الطاغوت، وأن تكون حريصاً على معالي الأمور بعيداً عن سفسافها.

إذا هَمّ ألقَى بينَ عَينَيهِ عزمَهُ
وَنكّبَ عن ذِكرِ العواقبِ جانبا..
وَلَم يَستشِر في رأيهِ غيرَ نفسِهِ
وَلَم يَرضَ إلّا قائمَ السيفِ صاحِبا..

إن الشخصية الضعيفة -حتى وإن كانت من (أهل السبق) أو لها (تجارب قديمة) في جبهات القتال- قد تخدمها (الظروف الميدانية) وربما (حالة السيولة)، فتجد نفسها في واجهة الأحداث وقد تصدرت المشهد في غياب (الأبطال الحقيقيين)؛ تلك الشخصية لا تحمل أي (قيمة استراتيجية)، وما هي إلا (راكب موجة) قد صنعتها الظروف.

الذي يريد أن يكون في (مقدمة) الركب يجب عليه أن يتحمَّل تكاليف المقدمة، ويدفع ضريبتها إقداماً وثباتاً وعزة وإباءً وصداماً وجسارة، وإلا فليتنحَّ عن الطريق جانباً ويدع الأمر لأهله؛ ورحم الله امرأً عرف قدر نفسه.

إنها فاتورة الخلود؛

فهل أنت مستعدٌ لها قبل أن تتصدر المشهد؟

وهل تملك ثمن القيادة؟!..

إن الذي يبخل بروحه عن التضحية، ويتتبع الرخص، ولم يسجل له التاريخ أي مواقف بطولة أو صمود، ويخلو سجله من حكايات الإقدام والشجاعة، ولم يُعرف عنه الثبات أو الأخذ بالعزيمة، ولم يكن من ذوي المروءات، وإنما اشتهر بأضداد ذلك من الضعف والتردد والتخاذل والجبن؛ إنما هو أبعد الناس عن مقام الإمامة في الدين.

إن المحن هي التي تفرز أقدار الرجال وتصنع الرموز الحقيقية؛ حيث تسقط الأقنعة، وينكشف البهرج، وتثبت العزائم، ويعرف الناس من يستحق ذروة السنام، لذلك تفشل محاولات تزييف البطولات.

الشخصية الضعيفة الجبانة المترددة لا تصلح (للإمامة)، ولن تكون (رمزاً) ولن تصنع (مجداً) حتى وإن كانت من (أهل النفير السابقين) غيرهم إلى الجبهات، ما لم تعالج آفاتها وتسد ثغراتها وعيوبها. وأي محاولة تُبذل لتسويق تلك الشخصية أو إعادة إنتاجها بنسختها القديمة وأمراضها الدفينة، إنما هي محاولة واهمة لتبرير الفشل المتراكم عبر صناعة أسطورة من العدم.

إن دين الله يربي رجالاً وينتج أبطالاً لا يعرفون الذل والهوان، إنما هم أهل العزة والبسالة والإقدام والشجاعة.

ولا نُحالِفُ إلا الله مِنْ أحدٍ

غَيْرَ السيوفِ، إذا ما اغْرَوْرَقَ النَّظَرُ..

أَمَّا العَدُوُّ، فإنّا لا نَلِينُ لَهُمْ

حتى يَلِينَ لِضَرْسِ الماضِغِ الحَجَرُ..

لَحْنُ الرَّصَاصِ...

هاهنا كلمات (بطعم الرصاص)، بل هي (الرصاص) نفسه، تتوهّج شجاعة وإقداماً، وتضيء عزة ورجولة، قالها ذات يوم الإمام الشهيد والبطل الصنديد والجبل الأشمّ، مروان حديد، سجّلها التاريخ بحروف من نور، وصدّقها قائلها بدمائه.

قال رحمه الله تعالى:

(إذا كانت السلطة مجنونة في باطلها فإننا مجانين في حقنا؛ والله لأقاتلنهم ولو كنت وحدي؛ ولا أقبل إلا بحكم الإسلام أو أموت شهيداً في سبيل الله).

كتاب (على ثرى دمشق) ص (55).

إن الشجاعة صفة الموحدين، فالموحد قوي القلب ثابت الجنان، وإن الجبن والهلع والخوف هي صفات المنافقين، وقد وصف الله تعالى المنافقين بقوله: ﴿**وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ**﴾ [التوبة: 56]؛ أي: يخافون، وفي الحديث: "شر ما في رجل شح هالع، وجبن خالع".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"لن يخاف الرجلُ غيرَ الله إلا لمرضٍ في قلبه؛ كما ذكروا أن رجلاً شكا إلى أحمد بن حنبل خوفه من بعض الولاة، فقال: لو صححتَ لم تخَفْ أحداً؛ أي: إن خوفك من أجل زوال الصحة من قلبك".

هذا الدين دين العزة والإباء والأنفة، دين الإقدام والصمود والشجاعة، ينتج رجالاً، ويربي أبطالاً.

قم فإن الله لا يرضى
بأن تحيا ذليلا..
واحمل الرايات حراً
واحتمل حملاً ثقيلا..

دِينُكَ لَحْمُكَ وَدَمُكَ...

إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ
وَنَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبَا..
وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِي رَأْيِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ
وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صاحِبا..

الرجل الصنديد إذا نزل به أمر أو لاحَت له غاية، حوّلها فوراً إلى رؤية حية، وجعل هدفه نصب عينيه لا يحيد عنه.

الصراع الحالي مع الجاهلية وأدواتها تحتاج إلى (المجاهد الحازم)، الذي لا تفتّ العقبات في عضده، ولا يثنيه التردد عن بلوغ غاياته، وأن يكون على يقظة مستمرة وقدرة على اتخاذ القرار.

إن التفكير المفرط في العواقب والسيناريوهات السيئة هو المانع الأول للإنجاز. نحن لا ندعو إلى الطيش والتهور، بل ندعو إلى تجاوز (مرحلة التردد) بمجرد اتخاذ القرار، لأن التفكير المستمر في المخاوف يورث الجبن والهلع ويدمر المبادرة ويقتل الشجاعة.

الاستشارة محمودة، لكن (مرحلة التنفيذ) تتطلب صوتاً واحداً حاسماً ينبع من الداخل، وحِين يكثر المستشارون، تتعدد الآراء وتتضارب، مما يخلق حالة من الشتات والوهن.

نحن في عالم لا يحترم الضعفاء، لذا فإن (مقبض السيف) هو الصديق الأكثر وفاءً والأصدق حديثاً، لأن الحق الذي لا تدعمه قوة تحميه يظل عاجزاً.

إن النجاح وتحقيق الأمور العظام يتطلبان معرفة وثقة وصدق توكل على الله تعالى، ثم قلباً يجرؤ على الإقدام، وعقلاً يثق بقراره، وقوة ذاتية تحمي هذا القرار وتدفعه نحو أرض الواقع.

إن هذا الدين دين عظيم لا يقوم إلا على أكتاف العظماء من الرجال.

وَكَيْفَ يَنَامُ اللَّيْلَ مَن كَانَ هَمُّهُ

قِتَالَكُم حَتَّى تَزُولَ المظَالِمُ...

كَذَبْتُم وَرَبِّ البَيتِ لَا تَأْخُذُونَهَا

مُرَاغَمَةً مَادَامَ لِلسَّيفِ قَائِمُ...

العاقلُ لا يرى لنفسه ثمناً إلا الجنَّة...

قال ابن حزم:

"لا تبذل نفسك إلا فيما هو أعلى منها،

وليس ذلك إلا في ذات الله عز وجل،

في دعاء إلى حق،

وفي حماية الحريم،

وفي دفع هوان لم يوجبه عليك خالقك تعالى،

وفي نصر مظلوم.

وباذل نفسه في عرض دنيا، كبائع الياقوت بالحصى".

هَكَذَا عَلَّمَنِي السِّجْنُ...

قال تعالى:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

أصحاب المواقف (الصلبة) هم الذين يدفعون الثمن دائماً،

لا يساومون ولا يتراجعون مهما اشتدت الضغوط عليهم،

لذلك يتركون (أثراً) لا يمحوه الزمن،

وعندما ترحل أجسادهم، تبقى أفكارهم.

أما أولئك (الضعفاء) أصحاب المواقف (اللينة المتميعة)

التي تفتقد للصلابة والثبات، فتبقى أجسادهم، وتغيب آثارهم،

وحين يرحلون، تحضر ذكراهم السيئة ومواقفهم الرخوة.

إن النصر الحقيقي

هو الثبات على المبادئ..

قال سيد قطب رحمه الله:

"فيا ليت رجالاً يمرّغون كرامتهم على أقدام الحكام -وهم أبرياء مطلقو السراح- فيضعوا النير في أعناقهم بأيديهم، ويتهافتوا على نظرة رضى وكلمة ثناء وعلى حظوة الأتباع لا مكانة الأصفياء، يا ليت رجالاً من هؤلاء يقرأون هذا القرآن، ويقرأون قصة يوسف، ليعرفوا أن الكرامة والإباء والاعتزاز تدرُّ من الربح -حتى المادي- أضعاف ما يدره التمرغ والتزلف والانحناء".

عِش حراً أو مُت عظيماً...

قال الإمام الشافعي رحمه الله في أبيات له مشهورة:

أَنا إِن عِشتُ لَستُ أَعدَمُ قوتاً

وَإِذا مُتُّ لَستُ أَعدَمُ قَبرا..

هِمَّتي هِمَّةُ المِلوكِ وَنَفسي

نَفسُ حُرٍّ تَرى المَذَلَّةَ كُفرا..

الطريق إلى المعالي محفوف بالمكاره، والتمسك بالكرامة في زمن الضغوط يحتاج إلى صبر وثبات.

يبقى الإنسان هو ما يختاره لنفسه؛ فمن رضي بالدُون عاش بين الحفر، ومن كانت همته همة الملوك ونفسه نفس حر، حلّق في سماء المجد، وعاش عزيزاً، ومات وذكراه منارة للأجيال.

الكرامة ليست خياراً ثانوياً، بل هي أصل الحياة، والمذلة -في عرف الأحرار- لا مكان لها في كتاب الوجود.

عِشْ حراً عزيزاً، مستعلياً بإيمانك، محتقراً للطاغوت، هذا الدين دين العزة والإباء، دين الشموخ والكرامة.

وَاختَر لِنَفسِكَ مَنزِلاً تَعلو بِهِ

أَو مُت كَريماً تَحتَ ظِلِّ القَسطَلِ...

إِنَّمَا دَمُ أَحَدِهِمْ دَمُ كَلْبٍ...

الموحّد الذي كفر بالطاغوت وآمن بالله وصدع بالحق في وجه الباطل، عليه أن يتهيّأ لدفع تكاليف الطريق وضريبة التوحيد، مستعداً بسلاحه وذخيرته للمواجهة المسلحة مع جند الطاغوت، موطّناً نفسه على الشهادة في سبيل الله، فالأمر جِدٌّ ليس باللعب، فصلٌ ليس بالهزل.

قد يسوقهم الله إليك؛ فنكِّل بهم؛ وشرِّد بهم من خلفهم؛ هي فرصتك الثمينة لنيل الشهادة؛ والنكاية فيهم؛ والثأر لدين الله؛ وتجرئة إخوانك؛ وتقوية قلوبهم على هذا النوع من القتال؛ وقد تسلم وتغنم ويمنحك الله أكتافهم.

طلقة في بيت النار..
وإصبعك على الزناد..
إنها حديقة الموت..
اقذف الرعب في قلوبهم بالتكبير، ثم اعزف ألحان الرصاص، على أنغامها تتراقص الجثث، حتى تفتح باب الحديقة، هم يعشقون الحياة، ويخشون الردى، وأنت تاجر الموت، خض في دمائهم، وافلق هاماتهم، ومزق أبدانهم، وشرد بهم من خلفهم، ثم شق طريقك بين جيفهم، وأنت تركض إلى الله، الموت جنتك، ألم كمس القرصة، مت عزيزا تحت ظلال السيوف، ولا تعش ذليلا تحت سياط الجلادين، أو في زنازين الظالمين، لا تأخذك بهم رأفة، فإنما دم أحدهم دم كلب.

المنية ولا الدنية؛ وضربة سيف في عز خير من ضربة سوط في ذل؛ والسعيد من وعظ بغيره؛ وأخذ للأمر أهبته.

وإنما يخشى المرء الغدر..

وأن يحال بينه وبين سلاحه..

فيؤخذ على حين غرّة..

الركن الشديد الذي تأوي إليه هو الله عز وجل؛ وإنما يخاف المسلم أن يؤتى من قبل ذنوبه ومعاصيه؛ فالله الله في الطاعات وحسن الصلة بالله.

ربنا أفرغ علينا صبراً..

وثبت أقدامنا..

وانصرنا على القوم الكافرين.

اضبط بوصلتك...

كلام الأئمة الأعلام درر وجواهر،

يختصر لك الطريق،

ويعيد ترتيب أوراقك المبعثرة.

أي خلل في التصورات،

أو اضطراب في المواقف،

إنما مرجعه إلى فقدان البوصلة،

لاعوجاج المنهج،

والتربية الفاسدة،
أو الناقصة غير المكتملة.

هنا الإمام سليمان العلوان فك الله أسره
يضع يده على الجرح،
ويرشدك إلى سبب التذبذب والضبابية،
ومن ثم فالحلّ والعلاج في طيات الكلام.

قال (فك الله أسره):
"التربية إن لم تكن قائمة على التوحيد والكفر بالطاغوت والجهاد في سبيل الله والحب في الله والبغض فيه؛ فسيكون المصير الفشل، ويصبح الشباب أعوانًا للطواغيت وخدمًا للعملاء".

كونوا عبادَ اللهِ إخوانًا...

المسلمُ أخو المسلمِ، والإسلام أكبر من الجماعات والتنظيمات يبقى دين الله وتفنى الجماعات والتنظيمات، والولاء والبراء على أساس الإسلام.

التوحيد غاية والدعوة والقتال عبادتان وهما الوسيلتان لتحقيق تلك الغاية، والجماعات والتنظيمات هي (الإطار) الذي ينظّم حركتنا للقيام بعبادتي الدعوة والقتال.

قال ابن القيم:
(والبصير الصادق:

يضرب في كل غنيمة بسهم ويعاشر كل طائفة على أحسن ما معها ولا يتحيّز إلى طائفة وينأى عن الأخرى بالكلية).

نحن في زمان تكالبت علينا فيه أمم الصليب بزعامة أمريكا؛ فمن لم تسعه الجماعات والتنظيمات وسعته الدعوة الفردية والقتال الفردي، قال تعالى: ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى اللهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَاللهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا**﴾.

وقال تعالى: ﴿**أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**﴾

الكفاية على قدر العبودية؛ كلما ازدادت عبوديتك لله ازدادت كفاية الله لك.

والمجاهد أحوج الناس إلى كفاية الله ومعيته كيف لا وقد سلك طريقاً شاقاً فيه فراق الأهل والوطن؛ وفيه القتل والأسر؛ وفيه الكسر والبتر؛ يتربص به أعداء الله خاصة أجهزة الأمن المحلية والعالمية.

فليحرص المجاهد أن يكون له النصيب الأوفى والحظ الأوفر من عبودية الله؛ وليضرب بسهم عظيم في العبادات على أنواعها؛ ولتكن له خبيئة من عمل صالح من صلاة أو قرآن أو ذكر أو صدقة يخفيها عن الناس كما يخفي ذنوبه ومعاصيه.

قال الطريفي (فك الله أسره):

"كلما زاد خفاء الطاعات زاد ثباتك؛ كالوتد المنصوب يثبت ظاهره بقدر خفاء أسفله في الأرض فيُقتلع الوتد العظيم ويُعجز عن قلع الصغير؛ والسرّ فيما خفي".

وليحذر من ذنوب الخلوات فإنها من أعظم أسباب الانتكاسات؛ وليحرص أن يكون باطنه خير من ظاهره؛ وسريرته أفضل من علانيته.

عن أبي هريرة ﷺ؛

عن النبي ﷺ قال:

«المسلمُ من سلم الناسُ من لسانه ويدهِ،

والمؤمنُ من أمنه الناسُ على دمائهم وأموالهم».

أخرجه الترمذي باختلاف يسير، والنسائي، وأحمد واللفظ لهما.

كتب رجل إلى ابن عمر رضي الله عنهما

أن اكتب إلي بالعلم كلِّه.

فكتب إليه:

(إنَّ العلم كثير،

ولكن إن استطعت أن تلقى اللهَ

خفيف الظهر من دماء الناس،

خميص البطن من أموالهم،

كاف اللسان عن أعراضهم،

لازماً لأمر جماعتهم،

فافعل).

سير أعلام النبلاء للذهبي (216/5).

الباب الثاني:
السودان: ويبقى الأمل

مُقَاتِلٌ مِنَ الخَرْطُومِ...

تقف بلادنا، السودان، على منعطف حساس وفي مفترق طرق، وهي تمر بمرحلة دقيقة وخطيرة قد نُسجت بخيوط التآمر والخيانة.

ومع الأسف، ليس بين أيدينا سوى استقراءٍ عام للأوضاع لا يستند إلى تحليلات دقيقة، أو معايير موضوعية، أو أسس منضبطة بناءً على معطيات حقيقية ومعلومات ميدانية؛ فنحن في بلادنا نفتقر إلى المعلومة الصادقة التي تقودنا لاستنتاج علمي أو استشراف للقادم، وكأننا فوق صفيح ساخن أو رمال متحركة غير ثابتة.

لكن الحقيقة التي تطلُّ برأسها وسط هذا (الركام السياسي) وهذا (العبث الحاصل)، أن قضية الدين ليس لها أي وجود في أذهان (حكام) هذه البلاد، ولا تشغل أي حيز في تفكيرهم، بل إنهم لا (ديناً) أقاموا، ولا (دنيا) أصلحوا.

أما الشعب فقد وصل درجة من الفقر والعوز والمرض وسوء الحال وقلة الحيلة ما وصلها في تاريخه، والدين -مع الأسف الشديد- يأتي في آخر اهتمامات الناس في بلدي إلا من رحم الله؛ فالناس تنحصر كل أحلامهم في العودة إلى ديارهم، والحصول على الماء، والكهرباء، والعلاج، والتعليم، والغذاء، والأمن لا أكثر.

والطامة الكبرى أن هذا الداء تسلل إلى المنتسبين للحقل الدعوي والعلمي والجهادي إلا (بقية) من أهل العزم منهم.

وكثيراً ما أسأل نفسي:

ما بالنا ؟!..

هل أَلِفَتْ نفوسنا الضيم والذل والانكسار؟!..

هل ماتت فينا الغيرة على توحيد الله وحرمات الله؟!..

فإلى الله المشتكى.

ما لم يحدث (تغيير جوهري) أو (اختراق كبير) في قضية الدين وتحقيق التوحيد، ومنه مسألة (تطبيق الشريعة) في جميع شؤون الحياة، فعلينا أن نستعد لما هو أسوأ ونتهيأ لما هو أفظع، وإلى الله المشتكى وعليه التكلان.

لمِثلِ هذا يذوبُ القلبُ من كمدٍ

إنْ كانَ في القلبِ إسلامٌ وإيمانُ.

إن من يراقب طبيعة التحولات الجارية يعلم يقيناً أن هذه البلاد يتم صياغة مستقبلها ويجري كتابة غَدِها بعيدا عن أهل الحق والدين، بل في غفلة منهم إلا من رحم ربي.

ومن أراد أن يكون جزءاً من ذلك المستقبل وحاضراً في ذلك الغد، فعليه أن يعمل لذلك من الآن، عليه أن يكون جزءاً من صناعة المستقبل في هذه (اللحظات الحرجة والفارقة) التي نعيشها.

لقد علمتنا الأحداث والسنون أن الآخرين لن يمنحوك حضوراً في ذلك المستقبل، بل يجب أن تنتزع ذلك الحضور انتزاعاً؛ فإن لم يكن لك (مشروعك الخاص) ستصير ضمن مشاريع الآخرين، وإن لم تكن لك (ماكينتك الخاصة) ستصبح (ترساً) في ماكينة غيرك؛ فالمستقبل لا يُنتَظر بل يُصنع.

إن الواجب الشرعي والتاريخي اليوم يقع على أعتاق العلماء الراسخين، والدعاة الصادقين، والمجاهدين الثابتين. هذا زمان الرجال الرواحل، والرجال المبادرين ذوي العزمات والبأس الشديد.

الذي يسعى إلى صناعة التغيير ينبغي أن يتحلى بصفتين:

* (الأولى): التحرر من الخوف وحبِّ الدنيا.

* (والأخرى): عشق الموت في سبيل الله.

أَمَرتُهُمُ أَمري بِمُنعَرَجِ اللِوى

فَلَم يَستَبينوا النُصحَ إِلّا ضُحى الغَدِ..

اللهم هل بلغت..

اللهم فاشهد..

وَيَبْقَى الْأَمَلُ...

أيها المجاهدون في السودان...

أنتم وأنتم فقط، لا غيركم مَنْ سيدفع ثمن تحكيم الشريعة، أنتم العقبة الكؤود، في وجه الاحتلال الجديد، أنتم الصخرة التي سوف تتحطم عليها مشاريعهم، والسيل الهادر الذي سيدمر مكرهم الكُبَّار، بحول الله وقوته.

ولأنكم أنتم نخبة هذا الجيل، وطليعته المقاتلة ستدفعون مهر البدايات من أرواحكم ودمائكم وأشلائكم، تتحمّلون تكاليف التأسيس، وتتجرّعون المرارات، وتفارقون الأهل والزوج والولد، وتتلقون الضربات تلو الضربات، إنه العذابُ العَذب، والغُصَصُ العِذاب، حتى يستوي (الجهاد) على سُوقه، فيُعجِب المؤمنين ويَغيظ الكافرين.

فمتى تُحطِّمُ الأُسْدُ أغلالَهَا ..

وتلبسُ للحَربِ سِربالَهَا..

النَّذِيرُ العُرْيانُ...

أزمتنا في السودان التي يعاني منها التيار الجهادي هي أزمة قيادة في المقام الأول، إضافة إلى غياب البيئة التي تسمح للقادة بالظهور.

غير أن أخطر ما في الأمر الآن هو الاستسلام النفسي للواقع، والانتقال من مربع محاولة التأثير والتغيير إلى مربع الاكتفاء بالفرجة والمشاهدة؛ مما يعني ترك الجهاد في سبيل الله، وترك التصدي للطاغوت والسعي إلى إزاحته، وترك الكفر يتمدد أمام أعيننا ونحن مشغولون عنه بذواتنا ومعايشنا وخاصة أمورنا.

والسبب بكل بساطة هو:

داء الوهن (حب الدنيا وكراهية الموت).

والحل في أخصر عبارة هو:

أن نكون (أئمة قتال وأئمة شهادة).

اللهم هل بلغت؟..

اللهم فاشهد..

لِلّٰهِ ثُمَّ للتَّاريخِ...

لا يجدي البكاء على اللبن المسكوب، لكن نقول (قدّر الله وما شاء فعل)، هاهنا كلمات أحسب أنها كُتِبَتْ ابتغاء وجه الله تعالى،

ثم لتكون عظاتٍ وعِبَراً وتوثيقاً للتاريخ.

عندما بدأت سُحُبُ المواجهةِ بالتجمّع، وكانت غيوم الحرب تبرق وترعد، وتوشك سماء الخرطوم أن تمطر دماً، أخرجتُ يومها رسالة قصيرة من (84) صفحة احتوت بعض الرؤى والأفكار، وبعض النصائح والتوجيهات لإخواني المجاهدين في السودان، بعدها بأيام قلائل تم اعتقالي، ولم يمضِ على دخولي السجن ستة أشهر حتى اندلعت الحرب.

وفي السجن التقيتُ (بعض) الرجال الأفاضل الذين أحسب أنهم لو شهدوا هذه الحرب لكان لهم شأن وأيّ شأن، ولكن حِيل بينهم وبينما يشتهون، مكثت في السجن عامين ونصف تقريباً، وبعد خروجي من المعتقل بحوالي (ثلاثة) أسابيع كانت مليشيات الدعم السريع قد انسحبت من الخرطوم.

هذه الحرب كانت فرصة عظيمة للموحدين من أجل إنشاء (راية مستقلة) يقاتلون تحتها من أجل تحقيق الغاية العظيمة التي بُعث من أجلها الرسل ألا وهي (تحقيق التوحيد ونبذ الشرك والتنديد) ومنه نبذ القوانين الوضعية والدساتير الأرضية وإقامة شرع الله في هذا البلد، لقد مَنَّ الله على الموحدين بهذه الحرب وصار بين أيديهم (مفتاح صراع) ألا وهو قتال العدو الصائل، هذا المفتاح كان كفيلاً بإذن الله أن نحشد به الناس (النخبة والعوام) فتكون لنا (راية مستقلة) خاصة بنا، يؤمها مَن أراد القتال لتكون كلمة الله هي العليا .

نقاتل ابتداءً في (المرحلة الأولى) لدفع صيال المعتدين على الأنفس والأعراض والأموال، فيعرفنا الناس بهويتنا الجامعة ألا وهي (راية التوحيد) فتصير لنا (حاضنة

شعبية)، ونتمدد افقياً ورأسياً وتنتشر قواعدنا وميادين قتالنا، وتزداد أعدادنا وتقوى شوكتنا وعدتنا وسلاحنا، وتتطور تجاربنا وخبراتنا مع الحرب ومعاركها.

ومع الأيام والشهور نصير بحول الله وقوته (شوكة ضاربة)، عندها ننتقل إلى (المرحلة الثانية) مرحلة السعي إلى إقامة (الدولة الإسلامية) التي تحقق(التوحيد) في جميع شؤون الحياة ومجالاتها، فلا نضع السلاح بل نواصل القتال وشعارنا (الشريعة أو الحرب).

لم تكن أبداً أزمتنا هي (أزمة رجال)، فالمتأمّل للواقع الجهادي في بلدنا يكتشف بوضوح كثرة الراغبين في الجهاد المتشوِّقين لنصرة الدين، الذين يحملون في أعماقهم استعداداً كبيراً للبذل والعطاء، والتضحية والفداء، عن إخلاص وصدق وغيرة نحسبهم كذلك، هذه الجموع كانت تنتظر (قلة مؤثرة) تحركها وتفجر طاقاتها، تأخذ بيدها وتوجِّه خُطاها وتفتح لها طريق المشاركة في الجهاد، وتلك (القلة المؤثرة) كانت بدورها تنتظر (قائداً شجاعاً) يُعيد تشكيل حماسة تلك الجموع في صورة مشروع واضح المعالم محدد الوجهة والهدف.

لم تكن أزمتنا أزمة مقومات مادية أو مال أو سلاح بل كانت أزمتنا الحقيقية (أزمة قيادة) قدوة على صعيد الفداء والتضحية، قيادة ذات رؤية وتصميم وهمة وإرادة لا تعرف المستحيل، تستخرج من كل فرد أجْوَدَ ما فيه وتبني فيه الثقة وتفتح له المجال للإبداع، وتمنحه البوصلة حتى لا يضل الطريق، وتزرع فيه (الإرادة القتالية)، إرادةٌ لو توفَّرت لتمَّ تعويض فارق الإمكانات، لكنها غابت حين غاب القائد.

إن هذا الدين لا يقوم على أكتاف المترخِّصين، إنما يقوم على أكتاف ذوي العزمات من الرجال، وإن الشخصية الجبانة والضعيفة والمترددة لن تقيم مشروعاً ولن تبني مجداً ناهيك عن أن تؤسس جهاداً، شخصية تلك سماتها لن تكون قائداً منقذاً، وما تملكه من قدرات محدودة لا يؤهلها للقيادة، فإن الفجوة واسعة والهُّوَة كبيرة بين استحقاقات القيادة والريادة وبين قدرات تلك الشخصية، إن أي محاولة تُبذل للتسويق أو التدوير أو إعادة إنتاج مثل هذه الشخصية هي محاولة واهمة لتبرير الفشل المتراكم عبر صناعة أسطورة من العدم.

ليس كل إنسان يصلح أن يكون قائداً، حتى وإن كان يظن في نفسه أنه أهل للقيادة، فما نيل المطالب بالتمني، القيادة تحتاج إلى صفات معينة، بعضها فطرية والأخرى مكتسبة، القائد لا بد أن يكون شجاعاً، جريئاً، يحب المغامرة، عنده روح المبادرة، يقتنص الفرصة ويستغلها.

كم من شخص سنحت له الفرصة تلو الفرصة، لم يكن قادراً على استثمار (اللحظة)، لأن ما يملكه من صفات لا تؤهله للقيادة، قد استنفد كل ما لديه، تلك هي حدوده الحقيقية، وتلك هي سقف قدراته القيادية، قد توقف قطاره في (محطته الأولى)، وتجمّد رصيده على (تجاربه القديمة)، الآفات هي الآفات والعيوب هي العيوب، لم يفلح في علاجها، ولم تزدها الأيام والسنون إلا ظهوراً وجلاء.

ليس من شرط القائد أنه لا يخطئ، بل هو يخطئ ويتعثر، لكنه يتعلم من أخطائه، ويتزود تجربة من عثراته، فيشتد ساعده، ويصلب عوده، حتى يغدو ذلك القائد الناضج المحنك.

عندي اعتقاد جازم وإيمان راسخ أن (البيئة القتالية) تفرز قياداتها وكوادرها ورجالاتها، فالحرب تصنع القائد الرمز والمعارك تبرز المقاتل الجسور والمسؤولية تنشئ المسؤول الكفؤ، والوسط الجهادي في السودان زاخر بفضل الله بطاقات شبابية لديها صفات فطرية وقدرات علمية وخبرات عملية بل و(كاريزما) لدى البعض يؤهلها للقيادة، وتلك الطاقات سوف تتشكل قيادياً وريادياً في محاضن الجهاد والقتال ومن خلال رحلة التعلم الطويلة، فهي لديها الاستعداد الفطري وتملك الصفات التي تؤهلها للزعامة، ومتى ما وجدت البيئة المناسبة فسوف تنطلق طاقاتها وتنفتح أمامها أبواب الفعل والتأثير والعمل النافع والإنجاز المؤثر.

لقد ترك لنا (القائد ضياء الدين) رحمه الله وإخوانه تجربة حية وعملاً رائداً ومثالاً يُحتذى في العمل والإنجاز، نسأل الله أن يتقبل منهم.

لقد كان (القائد ضياء) رحمه الله ضياءً في سمائنا، كان فارساً، وكان رقماً صعباً، شخصية استثنائية لم نعرف حجمها وقدرها إلا بعد أن غاب عنّا، كان رجلاً (راحلة إبل) أثبت طوال سنواته قدرته على صناعة الفعل والتأثير والبناء.

سبحان الله كان (ضياء) الأصغر سنّاً، والأقل خبرة، والأحدث تجربة، في مجتمع يذخر بإخوة من (أهل السبق) و (النفير القديم)، ولكنه كان الأكبر همة، والأكثر جرأة وشجاعة، والأعظم إقداماً وإصراراً، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

قليل هم الرجال الذين يتركون أثراً لا يُمحى، و(ضياء) كان واحداً من أولئك الرجال، رحل الجسد، ولكن ستبقى سيرته تُروى بفخر بين الرجال.

وأخيراً،

وما بين الأمل واليأس..

ومن تحت الركام ينبعث دخان الفرقة والاختلاف والتعصب التنظيمي وهوس التصنيف وفساد ذات البين وإعجاب كل ذي رأي برأيه.

لكن (الجهاد) كفيلٌ بإذن الله بإذابة كل تلك الأمراض، إنه نارٌ تحرق مرض (النفاق) حين يمنع صاحبه من نصرة دين الله، ونور يسير على هديه الصادقون إلى الله..

ويبقى السؤال الذي يحرق كالجمر فؤاد كل (موحد) في هذه البلاد:

ثم ماذا بعد؟!..

هل أضاع الموحدون في السودان فرصتهم التاريخية؟!..

هذه الحرب لم تضع أوزارها بعد، وليست في خواتيمها كما يُصوَّر للناس ويُخَيَّل إليهم، إنها حرب طويلة الأمد وقد دخلت مرحلة جديدة، والله وحده أعلم بمنتهاها.

الواجب على كل (مسلم) في هذه البلاد أن يكون على (جاهزية) كاملة إعداداً وتدريباً وتسليحاً، وأن يكون (مستعداً) لأي (سيناريو) محتمل، فالمؤمن لا يُلدغ من الجحر الواحد مرتين.

ونحن لن نيأس..

ولن نقنط..

فإن للجهاد رجالاً ادخرهم الله في غيبه..

نسأل الله أن يجعلنا منهم..

سيخرجون يوما ما..

وإن سنة الاستبدال لا تحابي أحدا..

أَعْطُوا الْخُبْزَ خَبَّازَهُ...

عندما يقول أهل الخبرة والتجربة الحربية والعلوم العسكرية: (إنّه كانت هنالك فرصة للعمل الجهادي في السودان)، وإن هذه الفرصة لم تُستَغل الاستغلال الأمثل، فإنهم أعلم بما يقولون، ومن الواجب قبل المسارعة إلى (النفي) أن نسأل (أهل العلم العسكري) عن حيثيات تلك الفرصة الضائعة، وعن (استراتيجية) العمل لاستغلاله.

ينبغي ألّا ننازع الأمر أهله، خاصة إذا كان (المنازِع) أو (المعترِض) لا علم له في أمور القتال وسياسة الحروب وإدارة الصراع المسلح، وقد يكون (المعترض) من

أهل العلم الشرعي لكن بضاعته مزجاة في العلم العسكري وينقصه الكثير في هذا الباب، لذلك عليه قبل الخوض في هكذا مسائل أو نوازل أن يرجع إلى الثقات من الإخوة العسكريين، يستشيرهم ويسمع منهم.

ولا شك أن العلم يسبق العمل، والعلم الشرعي هو الذي يضبط المسيرة من الانحراف إفراطاً أو تفريطاً، فالعلم هو السياج الواقي، كل هذا لا نناقش فيه ولا نعترض عليه، بل ندعو أن يكون العالم الشرعي هو نفسه القائد العسكري فيجمع بين الحسنيين.

لكن نحن نتحدث عن واقعنا، فعندما يفتي العالم بالخروج المسلح على الحاكم الكافر ويشترط لذلك (القدرة ووجود الشوكة الضاربة)، فإن تحديد ماهية القدرة وإمكانية الخروج وشكل الشوكة الضاربة والحد الأدنى الذي ينبغي الحصول عليه تسليحاً وتجنيداً وإمداداً وتمويلاً للقيام بالعمل المسلح كل ذلك (عمل سياسي عسكري) يرجع فيه إلى الثقات من أهل العلم العسكري والسابقة الجهادية فإن هذا هو فنهم لا ينازعهم فيه صاحب علم شرعي مهما بلغ علمه وهو يجهل سياسة الحرب وطرائق القتال.

(العسكرية) فنٌ وعلم؛ شأنها شأن سائر العلوم الأخرى؛ لها أصول وفروع؛ وضوابط وحدود؛ ومتون وحواشي؛ كما أنَّ لها أهلها وأربابها؛ هم دهاقنة العلم فيها؛ وأصحاب الشأن؛ الذين يُرجع إليهم ويصدر الناس عن رأيهم؛ وذلك بما منَّ الله عليهم من العلم والخبرة والتجربة والممارسة في هذا المجال.

يعاني بعض الأفاضل من علمائنا وإخواننا في السودان من (الأميّة العسكرية)؛ وتتعجب عندما يرتدي أحدهم بدلة (الجنرال) ويفتي فيما (يجهل)؛ ويتحدث فيما لا (يُحسن) ولا (يتقن)؛ فيهرف بما لا يعرف؛ ويغرف من (كيسه) المضحكات؛ ولكنه ضحك كالبكاء؛ يثير الاشمئزاز؛ وتشفق على صاحبه؛ وقديماً قيل (من تكلّم في غير فنّه أتى بالعجائب).

يشترط بعض هؤلاء الأفاضل شروطاً تعجيزية للجهاد؛ ولا شك أن الواجب منوط بالقدرة؛ مع أني أدين الله أن (القدرة) شرط (وجوب) لا شرط (صحة)، ولكن الذي يحدد ماهية هذه القدرة هم أهل الفنّ والاختصاص في العسكرية؛ فإنَّ بعض أولئك الأفاضل من علمائنا لا حظّ له في العلم العسكري؛ ويظن أنه لابد أن تتكافأ القوى بين الطرفين بل ويذهب بعضهم إلى وجوب أن يمتلك المجاهدون دبابات ومدفعية وربما طائرات حتى يقاتلوا في سبيل الله؛ غافلين عن فن عظيم من فنون الحرب اسمه (حرب العصابات)؛ التي لها تكتيكاتها الخاصة بها؛ وهي وسيلة تستخدمها الشعوب المستضعفة في قتال قوى محتلة تتفوق عليها في التسليح والنيران؛ أثبت هذا النوع من الحروب جدارته في تغلب الضعيف على القوي في مناطق شتى من العالم.

همسة في أذن أولئك الأفاضل:

أَعْطُوا الْخُبْزَ خَبَّازَهُ...

أَيْنَ فِي عَيْنَيْكَ ذَيَّاكَ الْبَرِيقُ؟...

جاء العيد لينثر علينا فراشات السعادة والفرح، فيطيب معه لقاءات الإخوان وجلسات الود، وفي نفسي شوق إلى أطايب الكلام وغرام بالحكايات، أحاديث حمحمة الخيول وصدى الأرواح التي حملت على عاتقها همّ هذا الدين، بي شغف بالذكريات القديمة، شغف لم تهزمه الأيام والسنون، ولم تخدشه الهموم والأحزان.

من بوابة الودّ دخلتُ في العيد الماضي على أحد الأكارم الأفاضل في بيته العامر لأسمع منه (الرواية الكاملة) لقصةٍ طالما كنت أمنّي نفسي بمعرفة تفاصيلها، حكاية مضى عليها أكثر من (20) عاماً،

قصة الدم والدموع، والألم والأمل، والفرح والترح، والإقدام والإحجام، والإقبال والإدبار، قصة الشوق المجنّح للشهادة في سبيل الله، والرغبة الصادقة في نصرة دين الله، الهِمم التي ناطحت السحاب، والعزائم القوية التي خُلِقت أشد من الحديد بأساً، لحظات الشجاعة والقوة، وأحايين الضعف والانكسار، والنفس حين تحلّق مع الملأ الأعلى فيَهُون لديها كل طاغية، والنفس حين تضعف وتقترب من السقوط.

عشتُ معه تفاصيل مشاركته في تلك (الخلية) التي نقشت اسمها على جدار التاريخ في بلدنا السودان، في جلسة امتدت من بعد صلاة الظهر حتى أذان المغرب، عشتها بخلجات روحي، وحلّقت في أجوائها بشغاف قلبي، ونحن في عالم قد

تراكمت فيه سحب الفتن وضباب المحن واتسعت فيه رقعة القيل والقال، عشتُ مع محدّثي بحبوحة الجمال وأنوار الطمأنينة، فتمزقت سُحُبُ الظلام وانقشعت غيوم الهموم بمصابيح أولئك الفتية، كان الناس في شأن وهم في شأن، هم في وادٍ والناس في وادٍ آخر، تقبل الله منهم وجعل ذلك في موازين حسناتهم.

وحين جَنَّ المساء وعدتُ إلى المنزل، ثارت في الحنايا لواعج الذكرى والحنين وشوق البدايات المشرقة، فأجد نفسي تقف على (أطلال) نفسي في نسختها القديمة، فأسألها قبل أن أسأل صاحبي راوي الحكاية:

أَيْنَ فِي عَيْنَيْكَ ذَيَّاكَ الْبَرِيقُ؟...

ويتجلجل في جوانحي صوت عميق يهزني،

رجع الصدى لأبيات شاعرية طالما أقضت مضجعي..

يا نهرُ،

هل نضبتْ مياهُكَ فانقطعتَ عن الخريرْ؟

أم قد هَرِمْتَ وخار عزمُكَ فانثنيتَ عن المسير؟

بالأمسِ كنتَ مرنّماً بين الحدائقِ والزهورْ

تتلو على الدنيا وما فيها أحاديثَ الدهور

بالأمس كنتَ تسير لا تخشى الموانعَ في الطريقْ

واليومَ قد هبطتْ عليك سكينةُ اللحدِ العميق

الجيل الحالي في السودان

أغلب أفراده هم بقايا جيل (السلمة والدندر)،

معظمهم إن لم يكن كلهم قد تجاوز سن الأربعين.

ورغم كل الظروف البيئية التي نعيشها وخلوّها من الضغوط الأمنية والتعقيدات الحركية حتى الآن؛ فضلاً عن أجواء الحرية والتعامل الناعم الذي وفره النظام إلا في حالات خاصة ظلت أزمة الإبداع والتجديد في (العمل للدين) وضخ (دماء جديدة) في عروق هذا الجسد تراوح مكانها إلا ما ندر.

تعيش (النخبة) اليوم لحظة غياب وفقدان وعي؛ فنجد أن أغلبها يقف على بوابة لقمة العيش؛ يعاني قساوة الحياة والبحث عن المعاش وتوفير متطلبات أسرته وأطفاله؛ يرجع إلى منزله آخر النهار منهك القوى مشتت الذهن؛ ينظر إلى (الإبداع والتجديد) كنوع من الترف الفكري والفضول، يقف عاجزاً تحت ضغط الواقع المعيشي ومتطلباته.

إني لأرجو الله رب العالمين أن يكون ما نراه اليوم من انكسار النخبة على أعتاب (لقمة العيش) ليس موتاً للإبداع، بل هو (بيات شتوي) لروحٍ أثقلتها وعثاء الطريق.

مأساة وأي مأساة؛ حين تحوّل (العمل للدين) في عيون المتعبين إلى (ترف)، وغاضت ملامح (النصرة) خلف غبار السعي اليومي، وصار الأخ يحمل على كتفيه همّ البيت قبل همّ الأمة، لكنها سحابة صيف تنقشع بحول الله وقوته.

قلتُ لطيف خيالٍ زارني ومضى:

أخاف أن تصبح مواطناً صالحاً في نظر الطاغوت، أن تكون مثل الآخرين لا تفكر إلا في الزواج والعيال ورزقهم، أخاف أن تنكسر أشرعتك، فتغرق سفينتك في أمواج الحياة المتلاطمة. أخاف أن تنطفئ قناديلك، أن تفقد الشغف للقتال، لا حلم تسعى إليه، ولا واقع تأمل في تغييره، أخاف أن تصبح رجلاً عادياً بلا هدف، ترضى بالعيش في كنف الطاغوت، فلا تقاومه ولا تسعى لقتاله.

أخاف أن تُقَصَّ أجنحتُك، أن تخبو نيران شجاعتك، أن تفقد ثقتك بالله، فتتحطّم آمالك، أن تكفّ عن البحث عن الشهادة في سبيل الله، أن تتحوّل إلى رجل خاضع، رجل باهت بلا طعم ولا لون، أخاف أن تذبل رغبتك في الجهاد.

هل نضبت مياه النهر فجفّ عن الخرير...؟

يا أيها الواقف على ضفاف النهر المستكين،

مهلاً .. فإن النيل لا يجف،

بل يختزن سرّ فيضانه في جوف الصبر.

سليلَ المجدِ لا تحزنْ .. فإنّ النيلَ موّارُ

وإنْ غارتْ مياهُ النهرِ .. فخلفَ الغيمِ أنوارُ

إن جيل (السلمة والدندر) الذي أذكره بأسى لم يرحل عبثاً، بل ترك في الأرض بذوراً تنتظر (زلزلة) تعيد لها وهجها.

إنهم أزهار رُبى بل آساد شرى..

ألم تكن أعظم الزهور هي تلك التي تشق صوان الصخر؟

والحقيقة المرَّةُ أنه حين تصير بلدنا (ساحة نزال)

عندها يكون المحكّ الذي يصهر القلوب ويطرد خبث التردد.

حينها بإذن الله ستنفجر المواهب؛ ويتوالد الإبداع؛

وتُضخ دماء حارة في جسد الموحدين؛

وتنبت أزهار جديدة على الروابي؛

وتثور نفوس كرام؛ تحطّم أغلال الوهم؛ وتكسر حاجز التردد.

ليوث الوغى وآساد الشرى؛ لتعلن ميلاد جيل جديد، يخرج من زوايا الهمِّ، يُعيد صياغة الواقع، لا يرعبه حدّ السيف،

ولا تكسره الأيام والحوادث

أزمةُ تربية...

قال ﷺ: «إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم النهار، القائم الليل» رواه أبوداود.

وقال مالك في الموطأ عن يحي بن سعيد،

أنه قال:

بلغني أن المرء ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل، الظامي بالهواجر.

قال ابن رجب:

حسن الخلق يبلغ بالعبد درجات المجتهدين في العبادة.

بفضل الله تعالى ومنذ بداية (الثمانينات) الميلادية وحتى عهد قريب ومجاهدو السودان يسلكون دروب الجهاد في شتى أرجاء الأرض، ما سمعوا هيعة أو فزعة إلا طاروا إليها يبتغون نصرة الدين ويرجون الشهادة مظانها.

ذهبت المعارك الأولى في السنوات السابقة بكثير من الإخوة الصالحين (نحسبهم كذلك) من أهل السودان في ساحات أفغانستان والعراق والصومال وليبيا ومالي وغيرها؛ إخوة كانوا من أولي البأس الشديد في القتال؛ أصحاب مروءة؛ وأهل أخلاق سامية؛ تفيض أفعالهم رجولة وشهامة.

أكثر ما يوهن بناءنا الجهادي؛ ويضعف مناعتنا القتالية اليوم في السودان هنا هو (غياب القدوات والرموز) التي تمثل ركائز التماسك والصمود؛ بل الأسوأ من ذلك أنه كلما لمع نجم في سمائنا أصبح هدفاً للتربّص والإسقاط بحجج واهية، والواجب هو أن نحفظ لمن بقي من أهل الفضل مقامات الود والاحترام؛ وأن نحيطهم بالمحبة والتعاطف.

رغم اتفاق الجميع على الأصول؛ فالتوحيد غاية والدعوة والقتال وسيلة لتحقيق التوحيد؛ والديمقراطية شرك بالله ليست من وسائل التغيير المعتبرة شرعاً؛ يظل التصنيف هاجساً للبعض، والجماعات والتنظيمات تفنى وتزول ودين الله باقٍ لا يزول، وإنما الولاء والبراء على (التوحيد) لا على الجماعة أو التنظيم.

إن المتأمل لواقعنا خاصة سجالات ونقاشات مواقع التواصل الاجتماعي، أو حتى حواراتنا في مجالسنا الخاصة، ولربما بعض تجاربنا الشخصية في التعاملات، يعلم يقيناً أننا نعاني من أزمة عميقة هي (أزمة تربية) في المقام الأول قبل كل شيء.

تعلمتُ من خلال تجربتي في الجبهات والسجون؛ أن أولئك (الأخيار) الذين بذلوا الجهد في بدايات الطريق من أجل (تربية) نفوسهم وحرصوا على (تزكيتها) قبل المسيرة وارتقوا بها في معارج الإيمان كانوا نجوماً يقتدي بهم الساري؛ عبادة واستقامة؛ أدباً وخلقاً؛ بذلاً وتضحية.

إننا نجد (آثار) تربيتهم في السراء والضراء وحين البأس؛ نجدها في مواطن الزلزلة والشدة، نجدها في مواطن المواجهة مع الطاغوت، نجدها في أقبية السجون في لحظات الضعف فتعصم أصحابها بفضل الله من السقوط، نجدها في)مواطن) الخلاف حين يجلب الشيطان بخيله ورجله هناك تظهر (خبايا) النفوس وتنكشف (معادن) الرجال فلا يفلح إلا أصحاب التربية الإيمانية..

في أوقات الشدائد، حين تضيق الخيارات، وتشتد المخاوف، وتتعاظم الضغوط، ينكشف معدن الانسان، فالشدائد تكشف ما كان مستتراً.

والثبات لا يأتي (ضربة حظ)، بل له مقدمات وأسباب تؤدي إلى نتائجها، إنه يأتي توفيقاً وفضلاً من الله، ثم من اجتهاد المرء على نفسه وإصلاحها وتربيتها وتزكيتها.

إن مـن أسـباب (الهشاشـة النفسـية) الـتي يعـاني منهـا (الـبعض) خاصـة تلـك الـتي عايشـناها داخـل السـجون إنمـا هـي بسـبب ضـعف الجانـب التعبـدي والإفـراط في المباحات.

ولا تضعف العبادة لدى البعض إلا بسبب ضعف (الشواهد)، فإن العمل إنما هو على (الشـواهد)، فبحسب(شـواهد) العبـد يكـون عملـه، فـإذا قـام في قلـب العبـد شـاهد مـن حقـارة الـدنيا وإدبارهـا، وشـاهد مـن الآخـرة وإقبالهـا، وشـاهد مـن النـار وعذابها، وشاهد من الجنة ونعيمها، ثم قام في قلبه الشاهد الأعظم، شاهد معرفة الله وصفاته وأسمائه والشوق إليه، عندها يغذُّ السير إلى الله ويجتهد في العبادة، وتكون هـي أنسـه وراحتـه وقـرة عينـه، فتطيـب حياتـه ويعيـش في نعيـم مـن الـدنيا قبـل نعيم الآخـرة ذات مـرة في السـجن قلـت لأحـد الشـباب وكـان صـغير سـن وحـديث عهـد بالطريـق، قلـت لـه: ذنبـان ابتعـد عنهمـا خاصـة في السـجن (الغيبـة والنميمـة) تفلـح بإذن الله، ثم قلت له: أنت شاب قد اعطاك الله الصحة والعافية ما ينبغي لمثلك أن ينام الليل كله فلا يوقظه إلا أذان الفجر الثاني، اجعـل لـك حظـاً مـن قيـام الليـل ولـو نصف ساعة، تهلّل والله وجه الأخ لكلامي وصلح حاله، وما زال يجتهد في تهجده حتى صار يستيقظ في الواحدة صباحاً، فكنت أسمع صوته بالقرآن ينبعث من زنزانته غضـاً طـرياً خافتـاً مـع سـكون الليـل البهـيم في ترتيـل وخشـوع. فللّـه مـا أرقّ تلـك القلوب حين تؤوب إلى ربها.

عاشرت في حياتي إخوة تحسبهم (مصاحف) تمشي على وجه الأرض، وما كان ذلك كذلك إلا بتوفيق الله لهم حين اجتهدوا على ذواتهم تربية وتزكية وصعوداً في مدارج السالكين إلى الله.

وفي المقابل رأيت من (البعض) ممن يحمل(المنهج) مواقف مخزية وأفعالاً يندى لها الجبين، حين غفل ذلك (البعض) عن تربية نفسه، وأهمل في (تزكيتها)، وعلاج (ثغراتها) التي ينفذ منها الشيطان.

نعم،

إن الله ينصر هذا الدين بالرجل الفاجر، وبأقوام لا خلاق لهم، والعدالة ليست من شروط وجوب الجهاد، ولكن هذا لا يعني أن تترك (نفسك) بلا تربية، بلا تزكية، بلا تطلع إلى معالي الأمور، لا بد من (المجاهدة) والمحاولة مرة تلو المرة، تقوم وتسقط، حتى يستقيم حالك، يعلم الله صدقك في(تزكية) نفسك فيعينك ويهديك إلى السبيل الموصلة إليه.

لا يزال في هذه الديار بفضل الله (بقية) باقية من أهل الخير والصلاح؛ نحسبهم والله حسيبهم ولا نزكي على الله أحداً.

من تلك البقية (شباب) لم يسبق لهم النفير إلى ساحة من الساحات؛ ولكني أحلف غير حانث إن شاء الله؛ أن لو كان تيسر لهم ذلك النفير لكان لهم شأن وأي شأن؛ على مثلهم بإذن الله يقوم البنيان ونعقد الآمال؛ أخفياء أتقياء أنقياء؛ شجعان أبطال؛ نسأل الله لنا ولهم الثبات.

عاشرتُ (إخوة) في هذا البلد لم يستطيعوا(النفير) إلى الجهاد، بعضهم أصغر مني في العمر بعشرين عاماً، هم عندي والله في ميزان (الرجال) وفي مقام (الجرح والتعديل) خير وأفضل من كثير ممن (نفر) إلى الجهاد، وإنما ذلك بما منَّ الله عليهم من خصال كريمة وشِيَمٍ جليلة يفتقدها(كثير) من أولئك (السابقين).

وما ينبغي أن تكون (الأسبقية) سيفاً يشهره صاحبه في وجوه إخوانه في كل موقف، أو يفتخر به في كل مجلس، أو يرى لنفسه فضلاً عليهم وعلوّاً، فعند كل حادثة يرفع لافتته (أنا صاحب تجربة وخبرة) والله أعلم به وبتفاصيل تجربته.

إنَّ (السابق) إلى الجهاد والهجرة عنده (مزيةٌ) من جهة كونه من (أهل السبق)، لكن هذه المزية لا تقتضي له الأفضلية الكلية حتى يجمع إليها فضائلَ أخرى؛ فكيف -والعياذ بالله- إذا كان بعض أولئك (السابقين) قد جمع جبناً وضعفاً ولؤماً وبخلاً وسوءَ مَعْشَرٍ وخُلُقٍ؟..

وفي المقابل نجد (أخاً) طرير الشباب يفقد فضيلة (السبق)، لكن عنده مزايا أكثر وفضائل أعظم، قد غلب (السابق) شجاعة وثباتاً ونجدة ومروءةً وكرماً وحسن خلق؛ فأي الفريقين أحق بالأفضلية؟..!

إن مجموع الفضائل هي التي تُكوّن قيمة الإنسان الكلية عند المقارنة والموازنة بين الناس.

نسأل الله أن يصلح حالنا؛ وأن يؤلف بين قلوبنا؛ وأن يوحد صفوفنا؛ والحمد لله الذي منّ علينا بنعمة التوحيد؛

ووالله لولا الله ما اهتدينا.

القضية المنسية...

الحكم بما أنزل الله تعالى هو من (أفراد التوحيد) الذي هو حق الله على العبيد؛ فهو أمر واجب وفرض لازم، لسنا مخيرين فيه بين الترك والفعل. من قَبِلَهُ فهو المسلم حقاً، ومن رفضه فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم.

إن القضية المنسية اليوم في السودان هي قضية تحكيم الشريعة؛ هذه القضية التي غفل عنها الناس، فإن الناس إذا سلمت لهم معايشهم وأرزاقهم ومآكلهم ومشاربهم ومساكنهم فإنهم لا يبالون بما يجري على هذا الدين العظيم، إلا من رحم الله وقليل ما هم.

قال ابن القيم رحمه الله:

"وأي دين وأي خير فيمن يرى محارم الله تنتهك وحدوده تضاع ودينه يترك وسنة رسول الله ﷺ يرغب عنها وهو بارد القلب، ساكت اللسان، شيطان أخرس؟ كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق، وهل بلية الدين إلا من هؤلاء الذين إذا

سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم فلا مبالاة بما جرى على الدين؟ وخيارهم المتحزن المتلمظ، ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذل وجدّ واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسْب وسعه. وهؤلاء ـ مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم ـ قد بُلوا في الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب؛ فإن القلب كلما كانت حياته أتمّ كان غضبه لله ورسوله أقوى، وانتصاره للدين أكمل".

إعلام الموقعين (٢/١٧٧).

من المصائب الكبار أن يدعو الداعي إلى تحقيق التوحيد، فإذا سنحت له فرصة مناسبة للعمل بقي متفرجاً ينتظر أن يقع فعل الفاعل عليه، ولا يفكر أن يكون هو صانعاً للحدث ومنقذاً للأمة؛ عندها يعلم الناس أن دعوته مجرد دعوى وأنه ليس إلا بائع أقوال.

سبحان الله..

العورات النفسية تفضحها كلمات قائلها وسطور كاتبها وتبدو ظاهرة لكل ذي لُبٍّ، لذلك يحاول صاحبها أن يُلبسها لباس الحكمة والعقل كي يخفي حقيقتها عن الناس، وإنما حقيقتها هي طلب سلامة النفس والنأي بها عن مواطن المحن والشدائد، والبخل والضنّ بها عن التضحية في سبيل الله، وبيان الحق والصدع به في وجه الطاغوت.

إنه (الوهن) الداء العضال والمرض الدفين، إنه حب الدنيا وكراهية الموت الذي أقعد بصاحبه عن الحركة والعمل لهذا الدين، وجعله يحجم عن (كلمة حق) واضحة لا لبس فيها ولا غموض، لا حمالة أوجه، ولا عموميات لها (مخارج) تنقذه من بطش (الطاغوت).

والرزية كل الرزية هي حب الدنيا وإيثار السلامة والراحة والدعة وهناءة العيش وطيب المقام، واختيار الأمن والطمأنينة والاستقرار والسلام على حساب الدين وانتقاض عراه؛ في مقابل التضحية بالغالي والنفيس وبذل المهج والأنفس والأموال رخيصة من أجل نصرة هذا الدين العظيم، وثمناً لتحكيم الشريعة، ومهراً لتحقيق التوحيد الخالص.

لقد بذل النبي ﷺ وأصحابه الكرام تضحيات باهظة ودماءً غالية من أجل تحقيق التوحيد الخالص، والشريعة التي جاءت بحفظ النفس هي نفسها التي أمرت وحضت وحثت ودعت إلى التضحية وبذل هذه النفس رخيصة من أجل حفظ الدين، فحفظ الدين مقدم على حفظ النفس.

لقد أثبتت كل (الحلول السلمية) فشلها في تحقيق هذا المطلب الشرعي، يدل على ذلك وقائع الدهور وحوادث الأيام والشهور وتجارب الأمم المعاصرة خاصة فيما حولنا.

ولنكن صادقين مع الله، صرحاء مع أنفسنا، ما من سبيل لتحقيق هذا الواجب الشرعي إلا سبيل (العنف) و (العنف المسلح) وحده فقط، ولن نخجل من ديننا

ولن نتوارى خلف أقنعة زائفة، الحل هو (القتال) في سبيل الله، لتكون كلمة الله هي العليا في جميع شؤون الحياة، ولن نستطيع القيام بهذه العبادة العظيمة حتى نتخلص من(عقدة) النقص والجبن والخوف، وحتى نكون (أئمة شهادة) نعشق الموت في سبيل الله، ونتحرر من حب الدنيا.

قديماً قال أحد أكابرنا عليه رحمة الله تعالى :

"إن راية التوحيد لن ترتفع إلا على جماجم الموحدين، وإن البلاد لن تُحكم بشريعة الله حتى تنال نصيبها من دماء أنصار الشريعة".

فليسوا بغير صليل السيوف
يجيبون صوتاً لنا أو صدى..
فإما حياة تسر الصديق
وإما ممات يغيظ العِدى..

إرهابي وأفتخر...

في فترة اعتقالي الأخيرة لدى جهاز المخابرات العامة، تناقشتُ ذات يوم مع أحد كوادر الحركة الإسلامية، فكان مما قلتُ له: "إن الفرق الذي بيننا نحن كتيار جهادي، وبينكم كحركة إسلامية –والذي أقعد بكم عن العمل الصحيح لهذا الدين، ناهيك عن الفروق المنهجية– هو أنكم تؤمنون بالشرعية الدولية ونحن نكفر

بها؛ أنتم تخافون التصنيف بالإرهاب، ونحن نعتز بالإرهاب ونفتخر به؛ أنتم تعترفون بالنظام العالمي وتدورون في فلكه، ونحن نضع ذلك النظام ومؤسساته تحت أقدامنا فلا يعنينا في شيء".

إن الحركة الإسلامية في السودان -كمؤسسة- هي حركة ظاهرها الرفض والصدام مع النظام الدولي، وباطنها القبول والخضوع له؛ لأنها باختصار حركة تخاف المجتمع الدولي، لديها قابلية للتنازل، واستعداد للخضوع، وإمكانية للرضوخ تحت أعذار "الحكمة". ومقتضيات المرحلة، وحسابات الواقع، وظروف السياسة. تعتقد أن بقاءها كحركة مشروط بمهادنة المجتمع الدولي، وأن طريق التنازلات هو باب النجاة من بطشه.

وفي ظل الهزيمة النفسية التي تعانيها هذه الحركة، وتحت ضغط الواقع الدولي، والهرب من دفع تكاليف الطريق الشاقة -تكاليف القيام الحق بهذا الدين- جاء النظام الذي أقامته في السودان (المعروف باسم نظام الإنقاذ) نظاماً علمانياً في ثياب إسلامية، ودولةً مربوطةً بالإطار الجاهلي المعاصر في كثير من صوره؛ فتنازلوا عن كثير من مفاهيم الدولة الإسلامية في المنظور الشرعي، من أجل إقامة دولة قابلة للحياة في ظل النظام الجاهلي المعاصر. هذه التنازلات بدأت من كبائر الذنوب، حتى انتهت -والعياذ بالله- إلى الكفر الأكبر المستبين؛ لقد دخلوا في بطن الطاغوت العالمي ولم يستطيعوا الخروج منه.

لقد وقع المحذور وحدث ما حدث، فتم تصنيف الحركة كمنظمة إرهابية، ولم تشفع لها كل التنازلات ولا الانبطاح تحت أقدام الغرب وتقبيل الأيادي الذي مارسته حكومتها (حكومة الإنقاذ) سنوات تمكينها، لم يشفع لها ذلك التاريخ المخزي الطويل، ولا العار الذي لا يغسله الماء؛ من التنسيق والتعاون مع التحالف الصليبي العالمي لمحاربة الجهاد والمجاهدين تحت لافتة "مكافحة الإرهاب".

سبحان الله مقلب القلوب والأبصار، من (كادر حركة إسلامية) كان يهتف في يوم من الأيام (أمريكا روسيا قد دنا عذابها) إلى (متعاون) مع الأمريكيين والفرنسيين وأذنابهم لحرب الإسلام والمسلمين بذريعة (مكافحة الإرهاب)، وكنتُ أنا شخصياً أحد ضحايا ذلك التعاون، حين تم الغدر بي وتسليمي للحكومة السعودية، لأقضي 15 عاماً في سجونها، أحتسبها عند الله، وعند الله تجتمع الخصوم.

يقف على رأس الحركة الإسلامية اليوم (قيادات) عندها خلل في التصور العقدي، وانحراف في المفاهيم الشرعية، وتحمل نَفَسَاً علمانياً واضحاً، تسلطت تلك القيادات على (قواعد الحركة) الشبابية، تحاول السيطرة عليهم وإخماد جذوة الحماسة في نفوسهم، وإفراغها من معاني العزة والكبرياء، تعبث بتضحياتهم وتتلاعب بدمائهم من أجل تحقيق مشروع علماني ناعم بمسحة إسلامية، في مقابل مشروع علماني خشن.

أما قواعد الحركة الإسلامية، فهم (شباب) نحسبهم –والله حسيبهم– على استعداد عظيم للبذل من أجل الدين، ولديهم الرغبة في التضحية والفداء، وتقديم الغالي

والرخيص ابتغاء وجه الله تعالى نصرة للدين والجهاد في سبيله؛ لا نشك في صدقهم وإخلاصهم وتجردهم لله، تحدوهم آمال كبار للتمكين للدين، وتحملهم أشواقهم فيتطلعون للخلود في الجنات.

فليعلم أولئك الفتية أنه (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)، وكل الذي أرجوه من أولئك الشباب هو إعادة قراءة كتاب (معالم في الطريق) و (مقدمة) تفسير سورتي الأنفال والتوبة من ظلال القرآن لسيد قطب رحمه الله، حتى يعرفوا الأرض التي يقفون عليها الآن، لعل الله أن يفتح بتلك القراءة أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، لا تخجلوا من دينكم، واعتزوا بعقيدتكم، وأعلنوها صرخة مدوية تشق الآفاق وتقض مضاجع الطغاة (الشريعة أو نُقْتَلَ دونها).

إن مشروعنا في الحركة الجهادية يقوم على ساقين؛ فنحن سياسياً ندعو إلى (تحقيق التوحيد ونبذ الشرك والتنديد) في كل جوانب الحياة، وعسكرياً نعمل على تفكيك المنظومة الجاهلية المعاصرة، وتسريع انهيار النظام العالمي الذي تقف على رأسه أمريكا من خلال حرب عصابات طويلة المدى.

إن كل هدم في بنيان هذا النظام هو لبنة جديدة في إقامة صرح الدولة الإسلامية المنشودة .

نعم، هو طريق طويل وشاق، مهره الدماء والأشلاء والتضحيات، والنفير والهجرة والمطاردات والسجون؛ ولكن حسبنا أنه هو الطريق الشرعي والواجب الذي لا يسعنا تركه، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

لُغَةُ الدَّمِ وَالسَّيْفِ...

قال تعالى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾.

هذا الطاغوت لا يفقه إلا لغة واحدة هي لغة السلاح،
لغة الحديد والنار، لغة الدم والقتل والقتال.

إنَّ ألفيْ قذيفةٍ من كلامٍ
لا تساوي قذيفةً من حديدِ...

احرص أيها المبارك على الإعداد الإيماني والإعداد العسكري، فالإعداد واجب، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فواجب القتال لا يتم بدون تدريب، والعرق المسكوب في التدريب تجني ثماره في المعارك.

لا تبيتنَّ إلا وسلاحك وذخيرتك عندك،
فإنك لا تدري ماذا تخبئ لك الأيام.

قال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه:
"صُونوا سُيوفكم كما تصونون وجوهكم ؛
فإنّ الرّجل إذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة أعزل".

فالزَمْ سلاحكَ لا يغيبُ بريقهُ
إنّ السّلاح وسامةُ الفرسانِ..

إن اقتناء السلاح اليوم ليس ترفاً ولا رفاهية، بل هو واجب شرعي وضرورة واقعية، وما حدث للناس من انتهاكات في أرواحهم وأعراضهم وأموالهم على يد مليشيات الدعم السريع مع عجز الدولة عن الدفاع عن مواطنيها لهو أكبر عظة وأعظم عبرة لكل مسلم عاقل، والمسلم لا يلدغ من الجحر نفسه مرتين.

اسأل نفسك:

هل تجيد استخدام السلاح؟

ما هي الأسلحة التي تتقن استخدامها؟

ما هي الدورات العسكرية التي التحقت بها؟

ما هي المهارات العسكرية التي تتقنها؟

ما هو مستوى لياقتك البدنية؟

هل تستطيع الركض لمسافات بعيدة؟

هل تستطيع تسلق الحبال أو صعود الجبال؟

هل تدربت على العيش في غابة أو جبل أو صحراء؟

والسؤال المهم:

هل تملك سلاحاً تدافع به عن نفسك وعرضك ومالك؟

هل درّبت زوجتك وأبناءك على استخدام السلاح؟

تأمّل كيف همة الكفار في تعليم أبنائهم استخدام السلاح.

أنت أيها (المبارك) أولى بذلك منهم

أَنَفَةُ الدَّمِ...

أتذكرُ إذ لِحافُك جِلد شاةٍ وإذ نعلاك من جلد البعير..

فسبحان الذي أعطاك ملكاً وعلّمك الجلوس على السرير..

تتجلى في شخصية العربي سليل القبيلة قيم الأنفة وعزة النفس، فهي ليست مجرد موروث اجتماعي، بل هي هوية متجذرة تأبى الخضوع أو الارتهان للغير.

العربي لا يرضى أن يكون أداةً في يد غيره، لأن (العمالة) في عرفه خيانةٌ لتاريخ ممتد من الفروسية والسيادة.

فأن تكون (ابن قبيلة) يعني أنك تحمل إرثاً من الأنفة يمنعك من السقوط في وحل الارتهان للأجنبي أو المتربص.

إنّ العربي قد يجوع، لكنه لا يأكل بثديي كرامته، وقد يفتقر، لكنه لا يبيع ولاءه؛ فالعمالة في قاموس الأحرار هي الموت المعنوي الذي لا يقبله من اعتاد شموخ القمم.

إذا انسلخ المرء من دينه، وتنكّر لعاداته وقِيَمِه، فلا دين، ولا مروءة، ولا كرامة، فلا تبالِ به في أيّ أودية العمالة هلك.

المُستشارُ مُؤتَمَنٌ...

في إحدى ليالي السجن، وليل السجين طويل إلا على العبّاد الذين خَلَوْا فيه بربهم. جاءني أحد الشباب وهو حديث عهد بالطريق وايضاً صغير سن، يستشيرني في بعض الأمور، فقلت له: سأعطيك (نصيحة) اعضض عليها بالنواجذ، نصيحة كتبتها سابقاً في كتابي (الأمير المنسي)، فهي نصيحة قديمة متجددة.

لا تعمل إلا مع قائد:

- ذي أهلية عسكرية وسياسية.
- عنده رؤية وأهداف محددة يسعى إليها.
- يمتلك (خطة استراتيجية) واضحة الخطوات لتحقيق رؤيته وأهدافه.

لا يكفي أن يكون القائد من (الموحدين) ولا حتى من (أفاضلهم) حتى تقف على أهليته، وتعرف تاريخه وسيرته الذاتية وإنجازاته وأعماله التي شارك فيها.

ولا تكتفي بحديثه عن نفسه، ولا تغتر بقصصه وحكاياته، حتى تسأل عنه (معاصريه)، الذين عاشوا معه في (جبهة قتالية)، أو رافقوه في (سفر)، أو عاشروه في (السجن) إن كان قد اعتقل ذات يوم، هذه المواطن الثلاث: الجبهة، والسفر، والسجن، كفيلة بإذن الله أن تعطيك (تصور) حقيقي عن الرجل، تعرف به (حجمه) في ميزان الرجال.

لا تتردد في سؤاله عن رؤيته وأهدافه من العمل المسلح، ولا تجامل فهذا دين، اسأله عن (مخططه) الاستراتيجي لبلوغ تلك الأهداف، فإن صارت لديك قناعة بتلك الرؤية، وغلب على ظنك أنّ (استراتيجيته) سوف تحقق الهدف بإذن الله، فاستخر الله تعالى ثم أقدم ولا تبالي، متوكلاً على الحيّ الذي لا يموت، محتسباً الأجر في لأواء الطريق وآلامها ومشاقّها.

واحذر الرجل النرجسي، صاحب (الأنا) المتضخمة، الذي يظنّ أنّ (الإمارة) خُلِقتْ له وأنه خُلِقَ لها، الرجل الذي لا يعترف بأخطائه ويصرّ عليها، يتظاهر بقبول النصيحة ويوهمك أنه يعمل بها ولا يرى إلا صورة نفسه.

كم عانينا من الذين تصدّروا المشهد، وهم ليسوا أهلاً للقيادة، بل يفقدون أبسط مقوماتها، فأوردوا إخوانهم المهالك، ودفع إخوانهم ثمن أخطائهم قتلاً وجراحات وتشريداً وسجوناً.

إنها أمانة..

وإنها يوم القيامة خزي وندامة..

إلا من أخذها بحقها.

التقية لا تجوز من الأئمة الذين يُقتدى بهم حتى لا يضل الناس، وبعض شيوخنا مع الأسف يتذاكى فلا يصرح بالمراد، بل هي إطلاقات عامة، وكلام حمّال أوجه، يُعرض فيه عن ذكر الطاغوت ولا يسميه باسمه، فيصير الناس خاصة العوام في حيرة من أمر دينهم ويلتبس عليهم الحق.

رغم التعذيب والسجن ثبت الإمام أحمد في المحنة ولم يتخل عن رأيه في أن "القرآن كلام الله غير مخلوق" وقد أدخلوا عليه عمه (إسحاق بن حنبل) ليقنعه باعتناق رأي الحكام ولو تقية –أي تظاهراً– فرفض وقال:

"يا عم إذا أجاب العالم تقية، والجاهل يجهل، فمتي يتبين الحق". ثم قال:

كيف يصنعون بحديث خباب بن الأرت

"إن كان من قبلكم ينشر أحدهم بالمنشار،

ثم لا يصده ذلك عن دينه".

يا شيوخنا الأكارم:

التوحيد هو فعل وعمل، ينبغي أن يتحول إلى واقع معاش، ومن المقامات العظيمة مقام التوكل على الله، فاصدعوا بالحق في وجه الطاغوت غير هيّابين ولا وجلين.

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله:

ما سمعت كلمة منذ وقعت في هذا الأمر أقوى من كلمة أعرابي كلمني بها في رحبة طوق. قال: يا أحمد، إن يقتلك الحق، مت شهيدا، وإن عشت، عشت حميدا. فقوى قلبي.

مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ...

عندما تقف على كتاب «في ظلال القرآن» للأستاذ سيد قطب -رحمه الله- فإنك تقف على بحرٍ لجيّ تتلاطم أمواجه بالجمال والجلال، وحين تغوص في أعماقه تغشاك اللآلئ والجواهر والدرر.

منَّ الله عليَّ في اعتقالي الأخير بقراءة ذلك الكتاب كاملاً عدا الجزء الخامس الذي كان مفقوداً، وكان لي مع ذلك السِّفْر العظيم وقفات تأملية عميقة هممتُ أن أجمعها تحت عنوان: (الفوائد القطبية من خلف الأسوار العسكرية)، لكن ظروف الاعتقال وتقلباته حالت بيني وبين ذلك.

كم أتمنى من الشباب أن ينهلوا من ذلك المعين العذب، خاصةً تفسير سورتي الأنفال والتوبة؛ فإن فترت العزائم فلا أقل من قراءة مقدمة تفسير هاتين السورتين، لقد أبدع فيها الأستاذ سيد -رحمه الله- إبداعاً عجيباً، ووضع فيها معالم ومنارات الجهاد في سبيل الله، لا يستغني عنها السالك لهذا الطريق.

من الآيات التي كنتُ أقف عليها متأملاً متدبراً قوله تعالى في سورة الأنفال آية رقم 49: ﴿**إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾.

عن هذه الآية يقول الأستاذ سيد رحمه الله:

والمنافقون والذين في قلوبهم مرض لا يدركون حقيقة أسباب النصر وأسباب الهزيمة؛ فهم يرون ظواهر الأمور دون أن تهديهم بصيرة إلى بواطنها، ودون أن يشعروا بالقوة الكامنة في العقيدة، والثقة في الله، والتوكل عليه، واستصغار شأن الجموع والقوى التي لا ترتكن إلى عقيدة في الله تمنحها القوة الحقيقية. فلا جرم يظنون المسلمين يومئذ مخدوعين في موقفهم، مغرورين بدينهم، واردين موارد التهلكة بتعرضهم لجحافل المشركين التي يرونها.

إن الواقع المادي الظاهر لا يختلف من ناحية مظهره عند القلوب المؤمنة وعند القلوب الخاوية من الإيمان، ولكن الذي يختلف هو التقدير والتقويم لهذا الواقع المادي الظاهر؛ فالقلوب الخاوية تراه ولا ترى شيئاً وراءه، والقلوب المؤمنة ترى ما وراءه من "الواقع" الحقيقي، الواقع الذي يشمل جميع القوى، ويوازن بينها موازنة صحيحة.

﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [الأنفال: 49].

هذا ما تدركه القلوب المؤمنة وتطمئن إليه،

وما هو محجوب عن القلوب الخاوية فلا تحسب حسابه.

وهذا ما يرجح الكفة، ويقرر النتيجة، ويفصل في القضية في نهاية المطاف في كل زمان وفي كل مكان.

وقولة المنافقين والذين في قلوبهم مرض عن العصبة المسلمة يوم بدر: "غر هؤلاء دينهم"، هي قولة المنافقين والذين في قلوبهم مرض كلما رأوا العصبة المسلمة تتعرض لجحافل الطاغوت في عنفوانه، وعدتها الأساسية التي تملكها هي هذا الدين، وهي هذه العقيدة الدافعة الدافقة، وهي الغيرة على ألوهية الله وعلى حرمات الله، وهي التوكل على الله والثقة بنصره لأوليائه.

إن المنافقين والذين في قلوبهم مرض يقفون ليتفرجوا والعصبة المسلمة تصارع جحافل الطاغوت، وفي نفوسهم سخرية من هذه العصبة التي تتصدى للخطر وتستخف به! وفي نفوسهم عجب كذلك ودهشة من اقتحام العصبة المسلمة للمكاره الظاهرة وللأخطار الواضحة. إنهم لا يعرفون مبرراً لهذا التهور -كما يسمونه- وللإلقاء بالنفس إلى التهلكة! إنهم يحسبون الحياة كلها -بما فيها الدين والعقيدة- صفقة في سوق التجارة؛ إن كانت ظاهرة الربح أقدموا عليها، فأما إذا كان الخطر فالسلامة أولى.

إنهم لا يدركون الأمور ببصيرة المؤمن، ولا يزنون النتائج كذلك بميزان الإيمان. إنها في حس المؤمن وميزانه صفقة رابحة دائماً؛ فهي مؤدية إلى إحدى الحسنيين: النصر والغلب، أو الشهادة والجنة. ثم إن حساب القوى في نفسه يختلف؛ فهناك "الله".. وهذا ما لا يدخل في حساب المنافقين والذين في قلوبهم مرض.

والعصبة المسلمة في كل مكان وفي كل زمان مدعوة إلى أن تزن بميزان الإيمان والعقيدة، وأن تدرك ببصيرة المؤمن وقلبه، وأن ترى بنور الله وهداه، وألا تتعاظمها قوى الطاغوت الظاهرة، وألا تستهين بقوتها ووزنها؛ فإن معها الله. وأن تلقي بالها دائماً إلى تعليم الله سبحانه للمؤمنين:

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

وصدق الله العظيم.

انتهى كلام سيد رحمه الله

التاريخ يعيد نفسه

فما أشبه الليلة بالبارحة.

كلام نفيس جداً...

قال الشيخ عطية الله:

بيانه: أنّ القائمين بالثورة والخارجين على الدولة حيث وجدت الأسباب الشرعية للخروج والثورة، إن كان لهم مجالٌ للاختيار وسعةٌ في التأخير شرعًا؛ فعليهم أن يختاروا الوقت المناسب الذي تنضج فيه سائر أسباب النجاح وتكتمل وتتمّ، ويسعون في ذلك في تكميل الأسباب، وهو المعبَّر عنه في الفقه بوجوب الإعداد عند سقوط الجهاد للعجز.

أما إذا اضطروا وضاق عليهم الاختيار ولم يجدوا بُدًّا من الخروج؛ لكون العدوّ فرض عليهم ذلك بحيث إن لم يخرجوا ويتحرّكوا الآن وقع عليهم ضرر كبير وفساد عريض.. في حين أنهم إن خرجوا كان الضرر الواقع أقلّ بحسب توقّعهم الناتج عن دراسة ونظر جيد منصف في الأمور فإنا لا نمنعهم من الخروج –ما دام أصل الجواز والإذن موجودا شرعا–، بل نقول: توكلوا على الله وانطلقوا، لكن قد لا تصيبون كل الهدف ولا تحققون كل المراد، لأن الإبّان لم يحلّ، فوطّنوا أنفسكم على الاكتفاء بتحصيل ما يمكن من الأهداف الجزئية حيث لم يمكن الكمال، وأجركم على الله، فأنتم تشتغلون هنا تحت مبدأ «ارتكاب أخف الضررين».

وبالجملة.. فإن الخروج والثورة حيث قلنا بجوازها شرعا –لوجود أسبابها الشرعية كوجود الكفر البواح الذي عندنا فيه من الله برهان من السلطان– فهي جائزة لا نمنعها بحال، ولو خرج الرجل وحده، وقاتل حتى قُتِل..! ما لم نعلم أو نظن ظنا غالبا أنّ خروجه يؤدي إلى منكر –فساد– أكبر مما هو موجود أصلا؛ لأن قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في شريعتنا قاضية بذلك.

ولكن لأن المنكر –الفساد– الموجود أصلا هو الكفر المتمكّن، ثم سائر ما ينشأ عن سيطرة الكفر وتمكّنه في الأرض من فساد عريض؛ فإنه لا يكاد يُتصوَّر فساد أكبر منه، إلا في حالة واحدة قليلة الوجود وهي: أن يزداد الكفر قوة وتمكّنا من البلاد وتحكما في العباد.

هذا هو الأساس، مع ما يضاف إليه من مفسدة مقتل هذا الخارج -أو الخارجين- وفنائهم، وتعطّل مصالح كانت متاحة أو فشل مشاريع جهادية ودعوية كانت ناشئة وفي أطوار معينة، ومفاسد سفك الكثير من الدماء بغير حق من قبل الكافر، بسبب استثارتنا له.. وما شابه ذلك.. فهذا موضع اجتهاد.

فمن ظنّ أنّ الكفر لن يزول بخروجه بل سيقوى ويزيد تمكّنه، مع بقية المفاسد المشار إليها؛ فكفّ يده وترك الخروج، إلى أن يتهيّأ حالٌ يُظَنّ فيه تحقق النجاح، فهذا محتمل.

وحينئذ يبقى عليه واجب الإعداد بكل معانيه.

ومن قال: هذه مفاسد ظنية، وهذا الاحتمال -احتمال وقوع مفسدة أكبر على النحو الذي وضحناه- احتمال ضعيف قليل الوجود، جوّز الخروج.

وصاحب هذا القول الأخير يقول: لا نسلّمُ أنّ الكفر يقوى ويزداد فإن هذا شيء متوهم، ولا يكاد يوجد في الواقع، بل هو إما أن يزول ولو طال عمر الثورة، وإما أن يضعف ويقل حَرده وشره.. فإن زال وأقمنا حكم الله مكانه؛ فذاك غاية المطلوب ولله الحمد.

وإن لم يَزُل فإنه يضعف ويقل شره، ويحصل في غضون ذلك مصالح عامة كثيرة دينية من قبيل تجريء قلوب المسلمين وتشجيعهم على منابذة هذا الكافر والسعي في التخلص منه، وإحياء مواتهم: موت الإرادة والعزائم، والموت الاجتماعي والنفسي، ونفض غبار الذل عنهم واستثارتهم لمرحلة قادمة وجولة آتية يكونون فيها

إن شـاء الله أقـوى وأقـدر، وينشـأ فـيهم جيـل يعشـق الحريـة ويسـعى في تحصـيلها، ويقتدي بالأبطال الذين تقدموهم وضربوا لهم الأمثال:

وَفِي القَتْلِ لِأَقْوَامٍ حَيَاةٌ

وَفِي الأَسْرَى فِدًى لَهُمُ وَعِتْقُ...

فإن الأمة إن لم يوجد فيها ذلك ماتت لا محالة.

وبالجملـة: فـإن خروجنـا وإن لم يكـن يحقـق الهـدف الكامـل المطلـوب لكنـه خطـوة في الطريـق الصـحيح إن شـاء الله، ونحـن يكفينـا ذلـك، مـع سـلامة أدياننـا –نحـن في أنفسنا– من فتنة تسلط الكفار والنظام الكافر علينا، ومع ما نرجوه –وهو المطلوب بالقصد الأول– من فضل الشهادة والقيام بنصرة الدين بالمهجة والدم ونيل رضوان الله تعالى وأعلى الدرجات في دار كرامته.

وهـذا القـول الأخير هـو الأرجح عنـدي، والله أعلم بالصـواب وإليه المرجع والمآب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وأستغفر الله تعالى من كل زلل.

وهذا على كل حال موضع ينبغي الاعتناء بتحريره من قبل أهل العلم والرأي، نسأل الله أن يلهمنا وسائر أحبابنا الهدى والسداد... آمين

الأعمال الكاملة ص (712-713).

الباب الثالث:

ما هبت الصبا،

إلا وجدت منها ريح أسامة

رحمك الله يا أبا عبد الله...

مالي أُكتِّمُ حباً قد برى جسدي..

ما هبت الصبا..

إلا وأنا أجد ريح أسامة..

جاورت أعدائي وجاور ربه

شتان بين جواره وجواري..

نحسبه كذلك والله حسيبه

ولا نزكي على الله أحدا.

بعد العملية المباركة ضد المدمرة (كول) في خليج عدن عام 2000م، كنا نترقب الرد الصاروخي الأمريكي، فتم إجلاء العوائل من قرية المهاجرين التي تقع جوار مطار قندهار، وتوزيعهم داخل المدينة، وكذلك نُقلت مكاتب التنظيم إلى بيوت آمنة، وغاب الشيخ رحمه الله عن قندهار (3) شهور متنقلاً بين كابل وجلال آباد.

في تلك الفترة كنت في طور الإعداد لعمليتنا ضد طائرة (الأواكس) في بلاد الحرمين، عملية استهداف تلك الطائرة بصاروخ (سام 7) في قاعدة الأمير سلطان بمدينة (الخرج) جنوب العاصمة (الرياض).

كانت لديّ (أمور) تخص العملية وقد تأخر الإخوة في مكتب الوثائق والتزوير في إنجازها بسبب حالة الاستنفار العام في التنظيم، فكنت غاضباً وضجراً ومتضايقاً بسبب ذلك التأخير، فقد كنت أسابق الزمن من أجل العودة إلى بلاد الحرمين لإنجاز مهمتي التي كلفت بها.

أحد الإخوة أخبر الشيخ رحمه الله بغضبي وضجري، فاستدعاني رحمه الله للقائه، وكما هو دأبه: هدوء تحسده عليه رغم صعوبة الوضع حينها، والجو العام الذي كنا نعيشه والضغط الأمني، وابتسامة عذبة لا تفارق محياه رحمه الله، ابتسامة تذيب الصخر.

قال لي:

اللواري (الشاحنات) في السودان ايش مكتوب على ظهرها من الخلف؟!

لم يدع لي فرصة للتفكير ناهيك عن الرد،

بل بادر هو رحمه الله بالإجابة فقال:

مكتوب عليها من الخلف

(دايره صبر).

ثم قال لي:

شغلنا هذا يحتاج صبر.

أجد الملامة في هواك لذيذةً

حباً لذكرك فلْيَلُمْني اللُوَّمُ...

نعم هذا الطريق يحتاج إلى صبر..

وأي صبر..

فسلامٌ على الصابرين..

وسلامٌ على الثابتين..

ما هَبَّت الصّبا،

إلا وَجَدتُ منها ريح أسامة (2/1)...

غِبْتَ فلم تغب ذكراك، لازلتُ أتجرّع مرارة رحيلك، ولازال فقدك غُصّة في نفسي، لوعة فراقك تقتلني، مقعدك شاغر في قلبي، أبحث في ذاكرتي عن طيفك، أتذكرك في كل حدث ومناسبة، وعند كل فرح ونائبة، تخطر في بالي أحاديثك المؤنسة، وأستحضر صوتك، وأتخيّل بسماتك، وأعيد صياغة حبك، تشرق شموس محبتك، فتنهمر شلالات المودة، وتفيض دموع القلب، الله يعلم كم أحبك، فما لي أكتم حباً قد برى جسدي، ما هبت الصبا إلا وأنا أجد ريح أسامة.

كـان رحمـه الله يحـب أهـل العلـم ويقـدرهم، وكـان حريصـاً علـى أن يكونـوا حولـه يستشيرهم، ويستأنس برأيهم، وكم بعثني كما بعث غيري مرات ومرات إلى أهل العلم والمشايخ في بلاد الحرمين يعرض عليهم مشروعه الجهادي ويحثهم على الهجرة، ويرغبهم في اللحاق به، قال لي ذات مرة: (إن خروج عالم كبير إلينا سوف يقلب الطاولة على آل سعود).

طلب مني ذات يوم صياغة رسالة إلى الشيخ حمود العقلا رحمه الله، يستشيره في أمر ما، وأردت وقتها التملّص من تلك المسئولية، رأيتها حملاً ثقيلاً على كاهلي، وكنت أستحي أن أردّ الشيخ، وكان رحمه الله لا يجبرنا على ما نكره، فقد كان سهلاً هيناً ليناً مع أفراده، فقلت: (يا شيخ لو تعفيني من كتابة هذه الرسالة، فليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة)، فلما سمعها الشيخ وأعجبته العبارة كاد ينفجر ضاحكاً، فوضع يده على فمه خشية أن يرتفع صوته، فقد كان رحمه الله لا يضحك إلا تبسماً، وما رأيته قط ضاحكاً تبدو لهواته، فوالله لا أدري وقتها بأيهما أفرح، هل بإعفائي من الكتابة أم بإدخالي السرور على الشيخ.

كان رحمه الله عنده من العلم ما يؤهله للنظر في الأدلة والترجيح بين الأقوال، جمع الله له بين الحكمة العلمية والعملية، ذكرتُ له ذات يوم مسألة من مسائل العمل الجهادي، فقلت له: (الشيخ فلان يقول في كتابه الفلاني كيت وكيت)، فقال لي: (نعم، قرأت رأيه ولم أقتنع به)؛ فتعجبت من مخالفة الشيخ أسامة لذلك الشيخ، وقد كان الكثيرون وقتها يقلدون ذلك الشيخ فلان فيما ذهب إليه، حتى إن مجموعة

انشقت عن إحدى التنظيمات الجهادية المتواجدة في أفغانستان في تلك الفترة بسبب تبنيها ذلك الرأي.

كان رحمه الله عسكرياً من الطراز الأول، يشدّك حين تسمعه يتحدث عن الاستراتيجية والتكتيك، كأنه أستاذ جامعي يلقي محاضرة في مدرج طلابي، تنساب كلماته كأعذب الألحان يعرض أفكاره في هدوء، ورويّة، بمقدمات شرعية وتحليلات منطقية مدعومة بالتواريخ والأرقام، فقد كان رحمه الله يعشق لغة الأرقام وكان بارعاً في ضرب الأمثلة وتقريب المعاني إلى أذهان مستمعيه.

كان مُوفَّقاً بفضل الله في اختيار الأهداف ووضع الخطط، له قدرة عجيبة على الابتكار، وكنت أسمي خططه (السهل الممتنع)، عرضت عليه ذات مرة خطة ابتدائية لمهاجمة أحد الأهداف داخل بلاد الحرمين، وكانت الخطة تحتاج عدداً معيناً من الاستشهاديين، فقال لي: (العدد ولله الحمد متوفر لدينا، ولكن هذا الهدف تتوقع الحكومة منّا أن نهاجمه واستعدّت لذلك جيداً فليس من الحكمة أن نفعل ذلك)؛ كان رحمه الله ذا نَفَسٍ طويل، كثيراً ما يردد (إن الحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث).

كان بارعاً في إدارة التنظيم، وله فلسفته الخاصة في ذلك، اكتسبها من دراسته الجامعية للعلوم الإدارية وممارسته للعمل التجاري، ومن تجربته الطويلة في ميادين الجهاد، يعطي جنوده هامشاً كبيراً من حرية التصرف، ويفوّض إليهم كثيراً من

الصلاحيات، يعطيك الخطوط العريضة والعناوين الرئيسية، ونادراً ما يتدخل في التفاصيل، كان قائداً بحق، تجسدت فيه كل صفات القيادة.

سمعته ذات مرة يقول:
طلب منا بعض العسكريين (يقصد إخوة كان ضباطاً سابقين في بلادهم) أن نسير بالتنظيم سير العسكرية المعاصرة فرفضتُ ذلك .

كان رحمه الله يدرك أن العسكرية في الإسلام نسيج وحدها، وقد كان حريصاً أن لا تنتقل (لوثة) العسكرية المعاصرة إلى داخل التنظيم، لأن الجندية في الإسلام تختلف عن مثيلتها في جيوش الطواغيت، تلك شريعة ومنهاج، وهذه شريعة ومنهاج، ولا يتنافى ذلك مع الأخذ بالإيجابيات (إن وجدت)، فالحكمة ضالة المؤمن.

ما هَبَّت الصّبا،
إلا وَجَدتُ منها ريح أسامة (2/2)...

كان رحمه الله عفيفاً متعففاً، جاءه يوماً أحد الزائرين بمبالغ مالية كتبرعات للتنظيم فأعطاها للشيخ، ثم أخرج الزائر مبلغاً آخر فقال:(هذا خاص لك يا شيخ)، فتبسم الشيخ، والتفت إلى حمزة القطري رحمه الله وكان ضمن اللجنة المالية، فقال له: (يا حمزة، خذ هذا فضعه في المال العام).

أما أخلاقه رحمه الله، فإنّ الخلق الحسن إذا أردت أن تعبّر عنه أو أردت تعريفه فإنه هو (أسامة)، حلو المعشر، طاهر اللسان، دائم البشر، ودوداً، لا تملّ مجالسته، لطيفاً خاصة مع الشباب، يجالسهم ويشاركهم أحاديثهم، وربما شاركهم أحياناً اللعب خاصة كرة الطائرة، فقد كان بارعاً فيها بما حباه الله من طول فارع.

أما تواضعه، فذاك العجب العجاب، والبحر اليباب، تواضع جمٌّ، في بساطة بلا تكلف. ربما بعثني برسالة لأحد الإخوة في (أمر تنظيمي) فيقول لي: (قل له: أسامة يقول لك كيت وكيت)، هكذا والله (أسامة) بلا لقب أو كنية.

يخدم نفسه ولا يطلب منك خدمته أبداً، أكون جالساً معه في غرفة صغيرة والجو شتاء وباب الغرفة مفتوح فيدخل الهواء البارد، وأكون أنا أقرب إلى الباب منه. فلا يكلفني ولا يأمرني بإغلاق الباب، بل يقوم بنفسه من مكانه فيغلق الباب، وهو الأمير وأنا الجندي، وهو الأكبر سناً وقدراً، وأنا الأصغر منه في كل شيء.

خرجنا ذات يوم، الشيخ وخلاد بن عتش (فك الله أسره) وأنا، من مركز (6) في قندهار قاصدين المضافة، كان خلاد يقود سيارة (الكوريلا)، فأصر الشيخ أن يجلس في المقعد الخلفي، ووجدت نفسي مضطراً للركوب في المقعد الأمامي، نظرتُ إلى (خلاد) وفي عيني الحياء والكراهية للجلوس مكان الشيخ، فأومأ إليّ أن (أسمِع وأطِع).

كان الشباب شديدي التعلّق والكلف به، أذكر في إحدى حفلات الزواج، قام المنشد بتعديل كلمات نشيد مشهور، فقال: (نريد أسامة بن لا.د.ن وليس سواه

يكفينا)، فتضايق الشيخ وامتعض من هذا الكلام، فلما فرغ الأخ من فقرته طلب الشيخ المايكروفون، وتحدث عن الغلو في الأشخاص، ونهاهم عن ذلك القول في رفق وتؤدة، وحذرهم أن يعودوا لمثلها.

ومما كان يعجبني فيه رحمه الله أنه كان يحب النصيحة ويفرح بها، ولا يتضجر من النقد البنّاء، ولا يتبرم من أي دعوة صادقة للإصلاح، قلت له يوماً: (يا شيخ لماذا لا يكون للتنظيم [منهج شرعي] مكتوب)، فقال لي رحمه الله: (نحن لا نرى ذلك، منهجنا يُؤخذ من مجموع خطبنا ومحاضراتنا ورسائلنا).

ولما سألته عن موقف إمارة طالبان من العمليات أجابني بكل أريحية، ثم شاء الله في ليلة عيد الأضحى من عام1421 من الهجرة، ونحن على مائدة الإفطار، يوم عرفة في معسكر الفاروق، وفي حضور ثلة من الأحباب، منهم الشيخان الوحيشي والآنسي رحمهما الله، أن يتطرق الشيخ لذلك الموضوع، فأسهب وأجاد، ثم قال: (نحن أخذنا بالإذن العام)، سمعته أذناي، ووعاه قلبي.

كان للسودان في قلبه مكانة كبيرة، وله ذكريات جميلة على ربوعه، رغم كل ما عاناه من نكران الجميل ومن خسائر مالية واستيلاء الحكومة السودانية على بعض ممتلكاته، وشراء بعضها الآخر بثمن بخس، انتهاء بإخراجه من البلد رضوخاً للضغوطات الخارجية.

قال لي ذات مساء:

(عندي 25.000 قطعة كلاشنكوف عند الحكومة السودانية)، قلت: (يا شيخ هدية أم أمانة؟..) قال لي باللهجة السودانية: (هدية شنو يا زول)؛ ففهمت أنها أمانة عند الحكومة.

حدثني ذات مرة أنه في فترة إقامته في السودان كان يريد الزواج من إحدى القبائل العربية الكبرى في غرب السودان (الرزيقات أو المسيرية) الشك مني فلقد نسيت، ولكن لم يتيسر له ذلك الزواج.

كنت أشعر بمدى حبه للسودان في أحاديثه وذكرياته عن البلد، حتى أنه يحرص على الحديث بلهجتنا السودانية عندما ألتقيه، أحياناً اغيب عدة أيام، فإذا جئت إليه قال لي: (مالك ما بتغشانا)، رآني ذات مرة متضجراً، فقال لي بلهجتنا العامية: (يا زول شغلتنا ده دايره صبر)، أي أن عملنا هذا يحتاج إلى صبر، لهجتنا العامية تخرج من شفتيه كأحلى نغم، وكأجمل معزوفة فتطرب لها النفس بل الروح.

كان يعجبه المثل السوداني (لالُوبنا ولا بلح الناس)، أي نعيش على مواردنا الذاتية البسيطة ولا نعتمد على موارد الآخرين الجيدة، في إشارة إلى أننا يجب ألّا نرضخ تحت ضغط (الحاجة المادية) لأحد.

يتجلى حبه للسودان في القصيدة التي أنشدها ابنه حمزة رحمه الله عندما كان صغيراً، فيقول في أحد أبياتها وهي من تأليف الشيخ (خرطوم أعشق عُرفها * لكن أبت لي أن أقر)، نعم أخرجوك منها ألا لعنة الله على كل طاغوت، وكانت الخيرة في اختيار

الله لـك، أخرجـك مـن هـذه (البلـد الحفـرة)، وهيـأك لأمـور عظيمـة ادخرهـا لـك في الغيب.

هذا الحب النبيل والعشق الرصين انتقل حتى إلى أبنائه، فقد جمعتنا ذات ليلة جلسة صحراوية، على رمال مدينة قندهار، مع أبناء الشيخ (عبد الرحمن وعمر وسعد وعثمان ومُحَّد)، جلسنا تلك الليلة نتسامر، تحلّقنا حول (شبّة النار) الحطب المشتعل، وقد احتضن أباريق الشاي، في تلك الليلة، وعلى أصوات احتراق الحطب، وضوء النار، ورنين كاسات الشاي، أنشد عبد الرحمن وسعد للحاضرين، أناشيد قديمة من أناشيد (قوات الدفاع الشعبي) باللهجة السودانية، حفظوها أيام إقامتهم مع والدهم في الخرطوم، أدهشتنا عذوبة الأصوات، وروعة الأداء، وإتقان اللهجة السودانية، وقوة الذاكرة، لم تمحها سنون الهجرة الطويلة التي غادروا فيها السودان.

ما أجمل تلك الأيام وما أحلاها!..

وما أروع ذاك الزمان..!

رَحِمَ الله أسامة..

أجد الملامة في هواك لذيذةً

حباً لذكرك فَلْيَلُمْني اللُّومُ..

اللهم أنفذ بعث أسامة..

إن العهود عهودنا منذ القِدَم..

لا نقيل ولا نستقيل..

ماضون على الطريق..

ثابتون لا نغيّر ولا نبدّل..

سنعيدها سِيرتها الأولى..

بحول الله وقوته..

للحُبِّ حِكَايَةٌ...

في أحضان رمال قندهار الذهبية ترقد (قرية المهاجرين) آمنة مطمئنة؛ يحيط بها سور شاهق قد بُني من الطين اللّبِن؛ وعلى مدخلها الوحيد تقف بوابة ضخمة يتناوب على حراستها رجال أشدّاء من جنود (أسامة)؛ هذه القرية تعرف وسط المهاجرين (بالمجَمّع)؛ وهي تقع خارج المدينة في جوار المطار؛ وقد كانت في السابق ثكنة عسكرية للروس ثم منحها (الطلبة) للشيخ ورفاقه الذين أدخلوا عليها الكثير من التعديلات لتناسب السكن والمعيشة..

تتكون القرية من قسمين؛ يفصل بينهما سور داخلي له بوابة تسمح بالحركة بين القسمين؛ القسم الأول يحتوى منازل الأسر المهاجرة؛ كل منزل محاط بسور طيني وفيه بئر ماء؛ ويوجد مسجد جامع؛ ومدرسة للأطفال؛ وميدان للرماية؛ وصالة كبيرة للمناسبات تسمى (الخريطة الكبرى)؛ أما القسم الآخر فيضم مكاتب (التنظيم) ولجانه الإدارية؛ ويوجد فيه (4) مضافات صغيرة للمهاجرين العزّاب؛

ومسجد؛ وصالة صغيرة تسمى (الخريطة الصغرى) يستقبل فيها الشيخ ضيوفه؛ وكثيراً ما يتناول فيها طعام الغداء مع الإخوة؛ كما يوجد أيضاً ملعب للكرة الطائرة؛ وكم تفاجأ الإخوة بوجود الشيخ بينهم يشاركهم اللعب؛ ويتفوق عليهم بما حباه الله من طول فارع رحمه الله..

بعد العملية المباركة في خليج عدن ضد المدمرة (كول) في أكتوبر 2000م؛ أخلى المهاجرون (المجمع) تحسباً لأي ضربة انتقامية بصواريخ الكروز؛ وقاموا بإعادة الانتشار داخل مدينة قندهار؛ وأبقوا على مجموعة صغيرة لحراسة وتأمين المجمع؛ وبعد مضيّ فترة من الزمن تم تحويل المجمع إلى (معسكر) تدريبي تُقام فيه بعض الدورات الخاصة كدورات التنفيذ وحرب المدن؛ وكان يشرف على المعسكر القائد الشهيد أبو هاجر عبد العزيز المقرن رحمه الله..

عيد الأضحى 1421 هجري؛ كان آخر عيد نشهده هناك قبل الانحياز الكبير؛ وكأنّ الله قد ألقى في روع الإخوة أنه كذلك وقد كان ذاك ؛ اجتهد الشباب في إعداد برنامج ضخم للاحتفال بالعيد طوال أيامه الثلاثة؛ كان برنامجاً متميزاً؛ اشتمل على العديد من الأنشطة الترفيهية والفقرات الإنشادية والمسابقات الرياضية؛ ظهرت فيه مواهب الإخوة ولمساتهم الإبداعية؛ وشهدنا فيه زواج (مُحَّد) ابن الشيخ على كريمة القائد أبي حفص المصري رحمه الله؛ في أجواء من الفرح والسرور؛ يظللها الإخاء الصادق؛ وتزدان جمالاً بالألفة والمودة؛ ويزيدها ألقاً وضياءً وجود الشيخ رحمه الله وسط جنوده؛ يبادلهم الحب والودّ وأحاديث الأرواح فتدركها القلوب بلا عناء..

ثالث أيام عيد الأضحى 1421 هجري؛ كان واسطة العقد؛ قمراً بين النجوم؛ كان اليوم الأكثر تميزاً من بين أيام البرنامج الاحتفالي؛ من حيث روعة الفقرات؛ وجمال الأنشطة؛ وحماس المسابقات؛ وكان هو اليوم الختامي فكان بحق (مسك) الختام..

شهد ذلك اليوم تحدي (الرماية) الكبير؛ احتشد الشباب في ميدان الرماية يتابعون فنون الرمي؛ وتناوب المتسابقون في التصويب على الأهداف المنصوبة؛ وتجلّت مهاراتهم بفضل الله ثم التدريب الراقي الذي حازوه؛ حرفية عالية ودقة متناهية في إصابة الأهداف؛ ومع كل تسديدة ناجحة كان يعلو الهتاف بالتكبير..

تقدم (الأسد) أسامة ليأخذ مكانه مع (الرماة)؛ واصطف الشباب يتابعون روعة المشهد؛ جثا الشيخ على ركبته؛ ورفع سلاحه تجاه الهدف؛ سدّد ثم أطلق؛ لكن.. أخطأت الرصاصةُ الهدفَ؛ أطلق مرة أخرى؛ وأيضاً لم يصب الهدف؛ لم يكن السلاح الذي رمى به هو سلاحه الشخصي؛ بل كان سلاح أحد الإخوة؛ وغامر به الشيخ في (المسابقة)؛ والسلاح كان جديداً يحتاج إلى ضبط (ريكولا ج)؛ لموازنة الفريضة والشعيرة على الهدف..

هنا طلب الشيخ سلاحه الذي يألفه؛ سلاحه الأثير لديه الذي غنمه من (الكوماندوز) الروس في معركة (جاجي) 1407 هجري؛ أخذ الشيخ وضعية الرامي؛ وفي هدوئه المعهود؛ صوب سلاحه تجاه الهدف؛ حبس الشباب أنفاسهم؛ يرقبون قائدهم؛ صمت رهيب يلفّ المكان؛ الطلقة في بيت النار؛ سدّد الشيخ؛

ثمّ.. ضغط على الزناد؛ انطلقت الرصاصة؛ صوتها يخترق جدار الصمت؛ الله أكبر؛ انفجر الهدف؛ إصابة مباشرة من أول طلقة من سلاحه الذي يألفه؛ ضج المكان بالتكبير؛ وابتسم الشيخ؛ سهمه أصاب الهدف؛ وابتسامته أصابت قلوبنا فرحاً وسروراً؛ كما اخترقت طلقته الهدف؛ فقد اخترق بارق ثغره سويداء أفئدتنا؛ فزاد العيد بهجة وحبوراً؛ ما أجمل تلك الابتسامة وما أحلاها؛ وما كان أكثرها لنا وأقلّها؛ فإنما (أسامة) بضعة منا؛ هو منا ونحن منه، يسعدنا ما يسعده..

كانت تلك أيام؛ مازال عبقها يصحبني رغم تقادم الزمان؛ كان من ضمن الحاضرين خالد وأبناؤه أبطال سبتمبر، وأبو بصير والآنسي ورجالهم؛ وأبو هاجر وليوث بلاد الحرمين، وسيف التونسي بطل (جربة)؛ وعبد الجبار الجمايكي صاحب (الحذاء المفخخ)؛ وغيرهم وغيرهم؛ رجال صنعوا التاريخ، اختارهم (أسامة)؛ تربّوا على يديه؛ وعاشوا في كنفه؛ نهلوا من المورد العذب؛ واستقوا من النبع الزلال؛ فهموا (ماهيّة) القضية؛ واستوعبوا المنهج؛ حتى خالط العظم واللحم؛ ثم رمى بهم (أسامة) في نحور أعداء الله؛ فبذروا البذرة في كل مكان، وأنبتها الله نباتاً حسناً؛ سقوْها من دمائهم؛ وارتوت من تضحياتهم..

تلك هي الحكاية؛ لازالت محفورة في الوجدان؛ خالدة في الضمير؛ حيّة في الذهن؛ عشناها بكل جوارحنا؛ أنفض اليوم عنها غبار السنين؛ تنداح في مخيلتي الآن صور الإخوَة؛ في لحظات الفراق الأخيرة؛ ونحن نلقي على بعضنا نظرات الوداع؛ والدمعات تلمع في العيون؛ موقف يزلزل أركان القلوب النابضة بحب الجهاد..

للحب حكاية..

إنها حكاية الإخاء الرباني..

بين أبناء ذلك الجيل الفريد..

بلسم الجراح والمواجع..

تُرى هل يرجع الماضي فإني

أذوب لذلك الماضي حنينا...

حِينَ تلوذُ الرُّوحُ بالكَلِمَات...

غريب أخفي هواي ويبدو بعض تحناني

وإن سترت هوى قلبي بكتماني..

أكتم الوجد في الأعماق أدفنه

تجملاً بين أصحابي وإخواني..

أغالب الشوق بالصبر الجميل وهل

بين الجوانح إلا قلب إنسانِ..

يضنيه فرقة أحباب ويحرقه

بكاء خِلٍّ ودمع الوالد الحاني..

ثمة لحظات في حياتنا تمرّ عابرة في ظاهرها، لكنها تحفر في الوجدان عميقاً فلا نملك نسيانها. من تلك المشاهد التي ما زالت عالقة في ذاكرتي، مشهد الإمام أبي عبد الله (أسامة) وهو يستمع بشغفٍ إلى هذا النشيد، كان رحمه الله يحب الاستماع إليه، ويطلب من صاحب الصوت العذب النديّ الأخ (يعقوب اليمني) أن ينشده خاصة في مناسبات الإخوة العامة.

كنت أرمق الإمام رحمه الله حين يترنم يعقوب بهذا النشيد ثم يغيب الإمام عن الحاضرين، يغيب تماماً في "سرحانٍ" عميق، وكأن روحه قد غادرت جسده لتسافر إلى عوالم لا نراها.

في ذلك الصمت الذي كان يغلّف ملامحه، لم يكن (الإمام) مجرد مستمعٍ لقصيدة؛ بل كان يعيش بقلبه كل زفرة ألم، وكل غصّة حنين سكبتها تلك الأبيات.

إن ذلك "السرحان" لم يكن غياباً عن الواقع بقدر ما كان غوصاً في أعماق الذات، وبحثاً صامتاً عن مواساةٍ تشبه تفاصيل وجعه المخبوء.

كان يبحث في بحر كلماتها عما يعجز لسانه عن بَوْحِه، ليكون النشيد بمثابة المرآة التي تعكس اغترابه، والشرفة التي يطل منها على ذكرياته.

حين كان يعقوب يشدو: "أكتمُ الوجدَ في الأعماقِ أدفنُهُ.. تجمّلاً بين أصحابٍ وإخوانِ"، كنت أرى في عيني (الإمام) تجسيداً حياً لهذا الكتمان. كان يعيد بناء الأماكن التي ألِفها، ويستحضر الوجوه التي اشتاقها وتوارت خلف غبار الأيام

والمسافات. ثمة حنين جارف كان يتدفق في عروقه في تلك اللحظات، حنين صامت لا صراخ فيه ولا عويل، بل يتجلى في نظرة ثابتة نحو الأفق، وفي تنهيدة مخنوقة يكتمها بين جوانحه كما يكتم الطير جرحه.

لكن رحلة (الإمام) في غيابه ذلك لم تكن تنتهي عند حدود الانكسار؛ فقد كان يجد في خواتيم القصيدة يقيناً يربت على قلبه المتعب. حين تصل الأبيات إلى وعود الفجر ومشرق الشمس مهما طال المغرب، كانت ملامحه تهدأ تدريجياً، وكأنه يغسل روحه بفيض من الصبر والإيمان، ليعود بعد انتهاء الصدى أكثر قوة وقدرة على مواجهة الحاضر.

لقد كان (الإمام) يلوذ بالكلمات ليصنع لنفسه وطناً بديلاً من الطيوف والذكريات، وكان سرحانه بوابته الآمنة ليبكي حنينه تجمّلاً وكبرياءً .

ستبقى تلك اللحظات شاهداً على عمق إنسانيته ونقاء سريرته ورقة مشاعره رحمه الله، وعلى أن القلوب الصامتة هي غالباً الأكثر ضجيجاً بالمشاعر والآمال.

الرَّحِيلُ المُرُّ...

خمسة عشر عاماً على الرحيل.. غِبْتَ ولم تَغِبْ ذكراك.. ستظل أنشودة على الشفاه.. وقصة نرويها للأجيال.. قصة النجيع والدم الزكي.. قصة البطولة والرجولة وكل مفردات الشجاعة..

لَيْثُ الْكَتِيبَةِ إِنْ عَدَتْ سَرَوَاتُهَا
وَبَدَا الْعَرَمْرَمُ وَاللَّهَامُ الْأَسْوَدُ..
أَسَدٌ دَمُ الْأَسَدِ الْهِزَبْرِ خِضَابُهُ
مَوْتٌ فَرِيصُ الْمَوْتِ مِنْهُ تُرْعَدُ..

كان الشيخ أسامة رحمه الله.. بحراً لا تكدّره الدلاء.. معيناً لا ينضب.. وعيناً لا تغور.. غديراً ينساب علماً وأدباً.. كلما اقتربت منه زاد حبك له.. وكلما عاشرته نما إعجابك به.. لا تملّ مجالسته.. ولا يروي ظمأك طول البقاء معه.. كلما غادرته اشتقت إليه.. تحنّ إليه حنين الواله المشتاق..

عشتُ معه في حلّه وترحاله.. وكنت معه في صحوه ومنامه.. نمنا في خندق واحد.. وأكلنا على سفرة واحدة.. وسافرنا في رحلة واحدة.. كان رحمه الله.. نسيج وحده.. لا ترى منه قطّ ما يشين الرجولة.. أو يخرم المروءة.. في كل أفعاله وأقواله..

حتى في سواكه..

قمة الأدب.. وروعة الأخلاق.. وملاحة الرجال.. وعذوبة المنطق.. وحلاوة الإخاء.. وهيبة القائد.. كان رحمه الله.. مدرسة يُتعلّم منها.. وقدوة تُقتفى آثاره.. تجسّد فيه هدي محمّد ﷺ.. القرب منه.. قربٌ من آثار السلف الصالح.. والعيش في كنفه.. عيشٌ في رياض مكارم الأخلاق.. لا ولن أوفّيه قدره.. لذلك كان بحق وحقيقة.. رمزاً وقدوة.. علماً يهتدي به السائرون.. ونجماً يستضيء به السالكون..

ستبقى أيها الشيخ الجليل..

رسالة وراية.. تتناقلها الأجيال.. لا يسقط اللواء من أيديهم.. بإذن الله.. يحملها الأشاوس من كل فج عميق.. يقارعون بها (رأس الأفعى)..

لقد أثمر زرعك.. وأينع ثمرك.. ونحن اليوم نقطف غرسك الذي سقيته بدمك.. هذا حصادك.. وها هم جنودك وأبناؤك في كل مكان.. منهم من قضى نحبه.. ومنهم من ينتظر.. وما بدّلوا تبديلاً.. على دربك وإرثك.. الأبطال الذين لم يتركوا ثغورهم.. وآخرون في رحم الغيب.. رجال الغد المنشود..

ستبقى أيها الشيخ الجليل..

حركة وتنظيماً.. فكرة ومنهاجاً ..

غصّة في حلوق الظالمين..

ولو كره الكافرون..

وسنبقى نحن بحول الله وقوته على الطريق..

لا نقيل ولا نستقيل..

إن العهود عهودنا منذ القِدَم..

الباب الرابع:

حبات القلوب:
حين تزهر الأرواح بالإخاء

حَبَّاتُ القلوبِ...

أخي في فؤادي وفي مسمعي
وفي خاطري أنت والأضلعِ..
أخي في حناياك يجري هواي
وروحك في الكون تسري معي..

الحمد لله
الذي رزقنا (إخوة) نحبهم في الله،
ويحبوننا فيه.

في زحام هذه الحياة المائجة بالدروب والمشاق، حين تتشابه الأيام وتثقل الخطى، نلتفت يمنة ويسرة فلا نجد ما يرمم تصدع نفوسنا مثل (أخ في الله). إخوة لم تعقد بيننا وبينهم أواصر الدم، ولم تجمعنا بهم طاولات التجارة والمصالح، بل صاغتهم لنا الأقدار نعمة ربانية محضة، نسكب حمدنا لله عليها صباح مساء: «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات».

منهج واحد، وطريق مشترك:

إن أعظم ما يميز هؤلاء الرفاق أنهم ليسوا عابري سبيل في حياتنا، بل هم شركاء المنهج والعقيدة. حين تضيق الدنيا، وتشتد (لأواء) الطريق وعقباته، نجدهم كتفاً بكتف، وكفاً بكف، يقاسموننا همَّ المسير، ويحملون عنا بعض الثقل.

هم حبات القلوب التي نبضت على سطر واحد، والذين إذا نسينا ذكرونا، وإذا ذكرنا أعانونا.

عطر لا يزول، ووفاء يتجدد:

إخاؤنا معهم كالعطر الثمين، لا ترخصه الأيام ولا تبليه السنون، بل كلما مر عليه الزمن ازداد عبقا، وفاح شذاه في أرجاء الروح. ومن نبل هذا الرباط أنه لا ينقطع بغياب الجسد.

من هؤلاء الأحبة:

من قضى نحبه: فرحل عن الدنيا وترك في القلب ندبة، وفي الوجدان ذكرى طيبة لا تموت.

ومنهم من ينتظر: ثابت على العهد، لم تغيره المحن، وما بدلوا تبديلا.

تعافي الروح بالأنيس:

لقد صدق القائل: يتعافى المرء بإخوانه. إن المرء لا يبرأ من كلوم نفسه بمفرده، بل بيد حانية تربت على كتفه، وبدعاء بظهر الغيب يصعد إلى السماء. الإخوة هم الملاذ الآمن بعد الله، هم المرآة التي نرى فيها نقاءنا، والوكاء الذي يشد مزاد صبرنا.

رجاء ممدود إلى الآخرة:

إن أجمل ما في هذا الحب أن سقفه ليس الأرض، ومنتهاه ليس الموت. بل نمد أبصارنا وقلوبنا إلى يوم العرض العظيم، نسأل الله الكريم أن يجعلنا ممن لا يفزعون حين يفزع الناس، قائمين على منابر من نور يغبطنا عليها النبيون والشهداء.

ويبقى الدعاء الخالد، والأمنية الأغلى:
أن يجمعنا الله في جنات النعيم، نزع ما في صدورنا من غل، نجلس فيها إخوانا على سرر متقابلين، نتذكر لأواء الدنيا فنبتسم، ونحمد الله الذي أوصلنا معا إلى بر الأمان.

إليك مع التحية...

سيدي ومولاي...
لم أزهد في الكتابة إليك؛ فالكتابة هي بوابتي إلى روحك، تعبر بي من سكون الصمت إلى ثرثرة الروح. حين يهدأ كل شيء حولي، يعلو في داخلي ضجيج له أنين ولكنه لا يُسمع. إنها حقولي التي أبذر فيها ثمار قلبي حين تتسلل إليه الذكريات، فتجثم بعذابها على صدري، لكنه العذاب العذب. نفسي فقدت شغفها بهذا الفضاء الأزرق، ما أعود إليه حتى أفكر في المغادرة؛ لم يعد للحديث معنى. كم أغالب نفسي فتغلبني، وكم أخادعها فلا تطاوعني.

سيدي ومولاي...

ضقتُ بهذه البلدة، ذاتي تتآكل رويداً رويداً حتى أنكرتُها فلا أكاد أعرفها، ذابت في الدنيا وتوشك أن تهلك. هذه البلدة تهدم دينك، وتوهن قلبك وأنت لا تشعر، تنخر في عزيمتك وتسحب من رصيد شجاعتك؛ إنها تزرع فيك الجبن والخور. (خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق).

سيدي ومولاي...
أتتركني هنا وتغيب؟ وهل الغرباء إلا نحن؟ أتْعَبتني برحيلك ومزقت قلبي بغيابك. تعصف بي كلمات الحيرة، وتساؤلات القلق على الغد والمصير، وهواجس الخوف من الخاتمة. هل لا زالت الشهادة أمنية؟ هل صارت الشهادة عزيزة عنيدة عصيّة علينا؟ تأتيك الإجابة خافتة بصوت عتيق: "حب الدنيا وكراهية الموت". أرمق أهلها يسيرون في مواكبهم إلى القناديل، ونبقى نحن للرثاء والدموع، نتجرع مرارات الفقد وحسرات الفراق والغربة.

سيدي ومولاي...
أنت عصيٌ عندي على النسيان؛ لأنك في قلبي وروحك تسري معي. أعطاني الله صحبتك فهي رزق إلهي، روحي تتهادى في روحك. إخاؤنا كالعطر يزداد عبقاً وصفاءً مع الأيام، لم يذق طعم الحب إلا قلب تجرد من الدنيا. سنمضي بهذا الحب –إن شاء الله– إلى نهاية الطريق الطويل البعيد، بهذه المشاعر الدفاقة والعاطفة الوثابة حتى نبلغ النهاية.

الله تعالى هو الوجهة
يا سيدي ومولاي.

أرواحٌ لا تُشرقُ مَرَّتَيْن...

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي» رواه مسلم.

هناك صنفٌ من الأرواح يتجاوز مجرد التآلف ليصبح بمثابة (الملاذ والوطن). هو ذلك الشخص الذي يرى في وجهك خارطة فرحه، ويبحث في صوتك عن طمأنينته، ويشاركك ليس فقط اللحظة،
بل (المنهج والغاية).

تكمن عظمة المحب الصادق في تلك التفاصيل العفوية؛ الابتسامة التي تنبت على وجهه بمجرد عبورك، وذلك البريق الذي يلمع في عينيه كأنه وجد ضالته، فإن بريق العين لا يكذب، هذا النوع من الاهتمام لا يُشترى، لأنه نابع من (غوصٍ في الأعماق)، وفهمٍ يتجاوز الكلمات. إنه يراك بقلبه قبل عينيه، ويهتم بتفاصيلك التي قد تنساها أنت عن نفسك.

أسمى مراحل العلاقة هي تلك التي تلتقي فيها الأرواح على (غاية نبيلة). حين يكون رفيقك هو (صفيّك) الذي هانت في عينه الدنيا وعظمت في قلبه الآخرة، فإنه لا يراك شريكاً في نزهة، بل شريكاً في (طريق)، يتقاسم معك ماله، وقته، ودعاءه في جوف الليل، معتبراً أن روحك تسري بين أضلعه، إنها وحدة المنهج، آمالٌ وآلامٌ تفيض من منبعٍ واحد.

إنَّ القلب الذي يعطيك كل هذا الحب هو قلبٌ شديد الحساسية، وكسره ليس كأي كسر. الغدر بهذا النقاء أو التهاون في قدره هو خسارة فادحة، القلوب الوفية إذا انكسرت، قد تسامح، لكنها غالباً ما تنسحب بصمت، إنه الغياب الذي لا يعقبه شروق.

المأساة الكبرى في علاقاتنا هي أننا أحياناً لا ندرك قيمة (الكنز) إلا بعد ضياعه. الشخص الذي يحبك بلا سبب، ويقبل عليك بكل ما فيه، هو (شمسٌ) تشرق في حياتك مرة واحدة. إن غاب هذا الشخص نتيجة إهمال أو جرح، فلن يشرق في سمائك مجدداً، وحتى لو حاول الآخرون تعويضه، سيبقى مكانه ثغرة لا يملؤها غيره.

حافظوا على من يمنحكم الطمأنينة دون مقابل، ومن يرى فيكم (الخليل والصفي). تمسكوا بمن يشاركونكم أحلام الطريق ومشاقّه بابتسامة صابرة. هؤلاء ليسوا مجرد أصدقاء أو أحباب؛ هؤلاء هم (هدايا ربانية)، والفرص التي لا تتكرر.

لا تتركوا مقاعدهم فارغة..
ولا تكسروا زجاج أرواحهم..
فالأوفياء حين يرحلون..
يرحلون للأبد..

حِينَ تَتآخى الأرواح...

عـــن أبي هريـــرة ﵁، أن رســـول الله ﷺ قـــال: «الأرواحُ جُنـــودٌ مُجَنَّـــدةٌ، فما تَعارَفَ مِنها ائتَلَفَ، وما تَناكَرَ مِنها اختَلَفَ» أخرجه مسلم.

أرواحٌ من سَنا الضياء تهيم في ملكوت الأرض بحثًا عن توأمها الذي ضاع منها في غياهب الزمن، وحين تتقاطع الدروب بالأرواح المتآلفة لا يكون اللقاء مجرد صدفة عابرة؛ وحين تلتقي الأرواح التي تشابهت لا يكون اللقاء عاديًا، إنه الرزق الإلهي. إنها الروح التي تحمل في ثناياها صدى روحك، تدرك نداءك الخفي وسط ضجيج الحشود، تلملم شتاتك بكلامها الحاني، وتطبطب على جراحك؛ هي وحدها من عرفت الطريق إلى قلبك، إنها (حروف) منثورة تخاطبك بلغة سماوية لم تدنسها قواميس البشر.

حـــين تجـــاور مـــن يشـــبهك تصـــمت الألســـن وتتنـــاجى القلـــوب؛ صـمتٌ أبلـغُ مـن بيـان. تـوأم الـروح يبصـرك بقلبـه، يقـرأ انكسـارك بـين سـطورك، يسمع ضجيج أفكارك خلف قناع هدوئك، ويدرك تفاصيل قلقك؛ إنه الصدق يتجلى في أبهى صوره، فتصبح الروح مرآة لروح أخرى.

صدق الشاعر إقبال حين قال:
"وحديث الروح للأرواح يسري .. وتدركه القلوب بلا عناء."

من تشعر به يشعر بك، ومن يسكن شعورك يسكن كيانك؛

فالمشاعر الصادقة ليست خيالات عابرة، بل هي خيوط من نور تمتد بين القلوب.

حين يضيق صدرك بلا سبب، فربما هناك روح تسكن نبضك تتألم في مكان ما، وحين يغمرك فرح طفولي مجهول، فلعله صدى دعاء صاعد من قلب يحملك في صلواته.

الغربة ليست في البعد عن الأوطان، بل هي العيش وسط أرواح لا تفهم لغتك؛ لذا فإن العثور على روح تشبهك هو العثور على الملاذ والمرفأ الآمن، إنه ذلك الشعور الدافئ الذي يغمرك.

على ضفافِ القلب لغةٌ لا تقرؤها إلا الأرواح،
ولغة الأرواح لا تخطئ،
إنها (حروف) تهمس في أعماقك بطمأنينة خاشعة:
"أنا توأم روحك".

الباب الخامس:

تراتيل الحب

الحُبُّ في مِحرَابِ العِفَّةِ...

يظن الكثيرون أن الحب مجرد شرارة عابرة أو كلمات تُلقى في عتمة اللقاءات المستترة، لكن المتأمل في حقائق الأشياء يدرك أن الحب أبعد من ذلك بكثير؛ إنه "منحة ربانية"، والمنح لا تُستجلب إلا بطرائق النور.

الحب كائن حيّ، غذاؤه البركة، الحب في جوهره ليس مجرد عاطفة، بل هو "بركة" تودع في القلوب. وكما أن الأرض لا تنبت أطيب الثمار إلا بسقيا طاهرة، فإن القلوب لا تثمر حباً مستداماً إلا إذا كان منبته "الحلال".

الله سبحانه وتعالى هو الذي يؤلف بين القلوب، والقاعدة الأزلية تقول: "ما كان لله دام واتصل، وما كان لغيره انقطع وانفصل". فالحب الذي يفتقر للبركة هو وهج مؤقت، ينطفئ بمجرد أن تصدمه رياح الواقع.

أرقى مراتب الحب هي تلك التي تبدأ قبل اللقاء الأول. أن تعيش "الاستعفاف" ليس حرماناً، بل هو "إعداد". أن تغض بصرك وتصون قلبك وأنت لا تعرف من هو شريكك بعد، فأنت في الحقيقة تمارس أقصى درجات الوفاء لذاك "القدر" القادم. هو نوع من العهد الروحي بأنك لا تريد أن تقدم لشريكك المستقبلي قلباً مثقلاً بآثار العبث، بل قلباً سليماً يليق بقدسية "الميثاق الغليظ".

وأن تعيش بيقين الوصول، فالساعي حلالاً لا يخونه الدرب، فتحصل له طمأنينة عجيبة، لأن الطريق الذي يبدأ بـ "يا رب" وينتهي بطرق الأبواب من مداخلها الصحيحة، هو طريق محفوف بالعناية الإلهية.

قد يتأخر الوصول، قد تطول المسافات، لكن الخطوات التي تمضي في الحلال لها "بوصلة ربانية" لا تخطئ الهدف. الله الذي أمر بالتعفف، هو ذاته الذي يسوق الأقدار لتجتمع الوجوه على غير موعد، وكأن كل طرف كان يحمل للآخر مكانه الشاغر في روحه دون أن يراه.

الحب الحقيقي لا يتسلق الجدران، ولا يدخل من النوافذ الخلفية، ولا يرضى بأن يكون "سراً" يُخجل منه. الحب الحقيقي هو الذي يأتي مرفوع الرأس، يطرق الباب، ويواجه العالم بيقين. هو ذاك الذي يسوقه الله لعقر دارك، ليس لأنه صدقة، بل لأنه "جزاء" لقلبين تعففا فاستحقا المكافأة.

ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته، ومن ترك شيئاً لله، عوضه الله خيراً منه بقلبٍ يطمئن إليه وتكتمل به الروح.

قال ﷺ:
«لم يُرَ للمُتَحابّينَ مِثلُ النِّكاحِ»
رواه ابن ماجه، وصححه الألباني، وضعفه بعض أهل العلم.

بَارِقَةُ أَمَلٍ...

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): "وإذا أحب امرأة في الدنيا ولم يتزوجها وتصدق بمهرها وطلبها من الله تعالى أن تكون له زوجة في الآخرة رُجِيَ له ذلك من الله تعالى".

الفتاوى الكبرى لابن تيمية (461/5).

في عتمة الحزن الذي يُخلِّفه انكسار القلب، الذي حيل بينه وبين من يحب. في تلك اللحظة التي يدرك فيها المرء أن قلبه قد تعلَّق بما ليس له في الدنيا إليه سبيل، تشرق كلمات ابن تيمية كقنديل من نور لتداوي جراح المحبين بلمسة إيمانية حانية.

هذا نص تَيْميٌّ يفيض بالرحمة، إنه بارقة أمل لقلب أضناه الحنين؛ فما أصعب أن يحب الإنسان روحاً يرى فيها تمامه، ثم يحول بينه وبينها القدر، قد يغرق القلب في بحار الأسى والأنين، لكن هذا النص التَيْمِيّ المدهش يفتح للمحب نافذة نحو السماء، فيصير الحب بساطاً يطير به إلى رحاب الكريم.

فالله الذي وضع هذا الحب في قلبك لا يعجزه أن يجمعك بمن تحب ولو بعد حين. وابن تيمية، من كمال معرفته بالله وحسن أدبه معه سبحانه وتعالى، قال: "رُجِيَ له"، وهي كلمة تحمل أدب العالم مع مشيئة الله، وتحمل أيضاً حسن الظن بالله.

يا له من رجاء عذب حتى بعد انقطاع الأسباب في الأرض، إن الله لا يكسر قلباً لجأ إليه، فما فات في زوال الدنيا قد ادُّخر لك في خلود الجنة.

إن الله رحيم بدموع المحبين وخبير بزفرات الصدور، وإذا كان الصبر مراً، فإن ثمرته عند الله تفوق الخيال: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾.

فاجعل من لوعتك دعاءً،
ومن غُصَّتك أملاً في لقاءٍ سرمدي؛
والملتقى الجنة بإذن الله تعالى،
حيث موعد الوصل الذي لا ينقطع بموت أو فراق.

مَلاذٌ فِي خَرِيفِ العُمُرِ...

وأنت في خريف عمرك، حين تجف روحك وتقل طاقتك على العطاء، تمتد إليك يدٌ دافِئَةٌ تظل متمسكة بك في أوج قحطك لا ترتخي أبداً، تروي عطش حزنك بفيض من الحب والحنان.

إحساس لا يوصف، وشعور يعجز اليراع عن التعبير عنه، أن تملك في هذه الحياة قلباً يحبك، ينظر إليك وكأنك انتصاره الوحيد،
يرى في ضعفك ملاذاً آمناً، ويعيد ترتيب شتات روحك.

أجمل ما في الحب الصادق هو (الاتكاء على قلب مخلص) يحبنا بصدق، لا يرى في انكسارنا عيباً أو نهاية. وحين تضيق بنا الأرض بما رحبت، نجد في ذلك القلب وطناً آمناً لا يضيق أبداً، مكاناً يتسع لدموعنا ولقلة حيلتنا.

ذلك الاتكاء الروحي هو الذي يعطي أجسادنا القدرة على الصمود، ويعيد النبض إلى العروق الباردة لنظل واقفين نبتسم في وجه العاصفة؛ ليس لأننا خارقون، بَلْ لأننا نستند -بعد الله تعالى- إلى حب صادق في ذات الله.

مَنْ يَسْتَنِدْ إلى قلب صادق يحبه لن يسقط،
ولو تهاوت هموم الكون فوق كتفيه.

ويكفيني من الدُّنيا جمالًا
دعاءٌ مِنْ مُحبٍّ دونَ عِلمي..
يُناجي اللهَ يسألُهُ هَنائِي
ويُرسِلُ فِي الدُّجَى للهِ اسمي.

يَقِينُ التَّلَاقِي...

عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال اللهُ عزَّ وجلَّ: أنا عِندَ ظَنِّ عَبدي بي» متفق عليه.

بين فجوات الغياب ومرارة الاغتراب، تئنُّ الأرواح التي فرقها الزمن. هناك لحظات تمر على الإنسان يشعر فيها أن خيوط الوصل قد انقطعت تمامًا، وأن المسافات التي تفصله عمن يحب لم تعد مجرد أميال، بل استحالت بحارًا من المستحيلات. ما أشد

قسوة الظن بعدم التلاقي، إنه شعور يتغلغل في الروح حين تنظر إلى المقاعد الخالية، إنه اليأس الذي يطبق على الصدر حين تذبل الآمال تحت وطأة الظروف.

وفي ذروة هذا الانكسار البشري، وفي تلك العتمة، ينبثق حسن الظن بالله كقنديل يضيء الوجدان؛ وعلى عتبة اليقين بالله ينكسر الظن السيئ. فالعظيم سبحانه، الذي يُسيِّر الكواكب في مداراتها ويدبر الأمر، قادر على أن يجمع خطوتين تاهتا عن بعضهما، والمستحيل ليس مصطلحاً في قاموس مَنْ عرف الله بأسمائه وصفاته.

إن اللقاء بعد طول يأس له طعم لا يعرفه إلا من ذاق مرارة الانقطاع، إنه لقاء يجعل من سنوات الفراق مجرد حلم ثقيل استيقظنا منه على فجر جديد. لقاء يغسل تعب الغياب، ويلم شتات الروح، ويعيد ترميم الحكاية، ويحيي ذُبالة الأمل؛ إنه العوض الجميل والجبر الذي يأتي ليسكن في عمق الوجدان.

إن قدرة الله لا تمنعها ظنون البشر؛
فسلام على كل شتيتين يجمعهما القدر غدًا،
ليضحكا على يأس الأمس.

إِنْ كَانَ قَدْ عَزَّ فِي الدُّنْيَا اللِّقَاءُ
فَفِي جَنَّاتِ عَدْنٍ نَلْقَاكُمْ وَيَكْفِينَا...

قال ابن عقيل:
"لولا أنّ القلوب توقن باجتماع ثانٍ لتفطّرت المرائر لفراق المحبّين".
فالملتقى الجنة..
بإذن الله تعالى..

لَوْعَةُ الْوَدَاعِ...

زفرة اغتراب حارقة تسكن القلب لحظات الوداع، إنه يتجرع غصة الفراق، يتأرجح بين ألم الكتمان وكبرياء الصبر، يعيش صراعاً طاحناً بين وجدٍ يدفنه في أعماقه تجملاً أمام الناس، وبين شوق جارف لا يملك القلب الضعيف أمامه فكاكاً، الدموع تغلب المآقي، والوجع يهز الجسد.

الوداع هو اللحظة الأكثر قسوة، لوعة تحفر في النفس شروخاً لا تبرأ سريعاً، معركة صامتة بين رغبة البقاء وحتمية الرحيل.

الفراق ليس مجرد غياب شخص، بل هو انتزاع لجزء من الروح.

إن الفراق هو الاختبار الأشد لصلابة النفس، ونحن لا نملك في مواجهة الرحيل سوى دموع مواسية، وذكريات نتشبث بها، وثوب من الصبر نواصل رتقه كلما مزقه الحنين، لو لم يكن اللقاء جميلاً، لما كان الوداع بمثل هذا النحيب ومثل هذه اللوعة.

لكن يظل اليقين شمساً تشرق لتبدد كل سوء ظن بالله، تبدد عتمة الليالي، نرقب فجراً قادماً يحمل نور الأمل بلقاء سرمدي لا فراق بعده بإذن الله تعالى.

قال أبو الوفاء بن عقيل:
لولا أن القلوب تُوقن باجتماع ثانٍ؛
لتفطَّرت المرائر لفراق المحبين.

قال ابن زريق البغدادي:

وَدَّعتُهُ وَبوُدّي لَو يُوَدِّعُنِي
صَفوَ الحَياةِ وَأَنّي لا أَودِّعُهُ..
وَكَم تَشبَّثَ بي يَومَ الرَحيلِ ضُحَىً
وَأَدمُعِي مُستَهِلّاتٍ وَأَدمُعُهُ..
وكم تشفّعَ بي أن لا أُفَارِقَهُ
وللضروراتِ حالٌ لا تُشفّعُهُ..
لا أَكُذبُ اللهَ ثوبُ الصَبرِ مُنخَرِقٌ
عَنّي بِفُرقَتِهِ لَكِن أَرَقِّعُهُ..

الباب السادس:
زفرات مكلوم

زَفَرَاتُ مَكْلُومٍ...

إنه يحاول أن ينحت في أرواحهم ما يستفزّهم إلى القتال، وأن ينقش في نفوسهم صورة الشهادة في سبيل الله ويبعث فيهم حبها. يريد أن ينثر نورها في زوايا الذاكرة جمالاً وبهاءً؛ يرسم بحروفه على جدران القلوب وضاءة البذل والتضحية في سبيل الله. يفعل ذلك استجابةً لأمر الله تعالى بالتحريض عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا، ولعله أن يترك وراءه أثراً يتكلم عنه، وشعوراً يصله بقلوب محبيه.

إنه يعلم أن الكلمات تُمحى والصور تُبلى، ولا يستبقيها في القلوب إلا أن يهرول صاحبها إلى الشهادة، فيعانقها عناق محبٍّ دَنِفٍ في سكينة وأنس، فتأوي روحه إلى قناديل معلقة في ظل العرش مع أسراب الطيور الخضر. إنه يبيع روحاً في دنيا محدودة مليئة بالهموم، مقابل حياة رخية سرمدية في جنة لا يموت فيها أبداً. حينها توقد قناديل الحب في صدور أحبابه، فيتوهج الحرف والكلم حياً يقتات من دمائه؛ فالكلمات المغموسة في دواة الدم لا تقع إلا في القلب.

إنه محبٌّ عاشق ظلّ –وهو المتعب المثقل– أربعين عاماً من نفيره الأول يجالد التعب والنصب وضنك الدنيا، يبسط روحه رخيصة يبتغي القتل مظانَّه. إنه همه الذي ملأ عليه سمعه وبصره وقلبه فنطق به قلمه؛ إنه سِرُّه المخبوء وهمُّه المكنون، قد تضلَّع كبده

من نهر الشهادة حباً وعشقاً، لا يزيده الشرب منه إلا شوقاً إلى الشهادة وإقبالاً عليها؛ يهيم بها كلما اغترف من نهرها غُرفةً عاد ناضراً مشرقاً بالحب.

تؤلمه ذكريات الشهداء ويستثقل الكتابة عنهم، ويحاول الهرب من القلم؛ يقاتل نفسه كي لا تحزن، لكن نسائم الحب تحمله إلى الكتابة. المحبة تختصر المسافات رغم طولها، وتصل القلوب ببعضها ولو تباعدت؛ فما أكثر الدعاوى وأرخص المشاعر، يعطي في الكتابة بعضاً من ثمار روحه، فتكون سلاماً وعزاءً لنفسه المعذبة، ويجد في ظلالها السكينة الوارفة لقلبه، وشيئاً من السلوى يخادع بها آلامه وأتراحه.

الشهادة في سبيل الله رزق إلهي واختيار رباني، فاضَلَ اللهُ به بعض عباده على بعض؛ إنها حكمة الرحمن سبحانه وتعالى، والسعيد من اتخذه الله شهيداً، وما يُلقَّاها إلا ذو حظ عظيم.

إِنَّهُ يَرْثِي نَفْسَهُ...

جاوز الخمسين؛ لم يبق من أقرانه الذين سلك معهم درب الجهاد إلا القليل؛ جيل الطيبين؛ ما بين قتيل قبورهم في كل سهل وقفر، أو أسير في سجون الطغاة؛ أو طريد تلاحقه الجاهلية؛ أو بقية على العهد لم يبدلوا، يصارعون الكفر في كل وادٍ؛ أما هو فقد توقفت راحلته عن المسير؛ وحاد عن الطريق؛ يَتَأمّل في حسرات رفاق الأمس، وهم يواصلون رحلة الخلود؛ يسمع صولاتهم؛ ويشاهد غزواتهم؛

فيبكي كالثكالى؛ كبلته الأغلال والأصفاد؛ وأثقلته الذنوب والخطايا؛ وأقلقته الهموم والنكبات؛ عاش غريباً في أرض لم يألفها؛ ما عرف رغد العيش؛ وما طابت له الدنيا؛ كلما رام وصالها أبغضته؛ عاش حزيناً أسيفاً؛ فقد الأحبة والخلان؛ أنكر كل شيء حوله؛ الماء والهواء والوجوه؛ حتى نفسه أنكرها؛ فغدا جسداً بلا روح؛ مثقل الخُطى مكلوم الفؤاد؛ وإذا جنّ الظلام؛ أوى وحيداً إلى مضجعه؛ يهرع إلى ذكرياته؛ يجد فيها بعض راحته؛ ينشد سلوته في وجوه الراحلين؛ تحدثه خواطره أن رفاقه الشهداء يرقبون مقدمه؛ يكابد الأشواق؛ ويعاني الفراق؛ يؤرقه القعود عن الجهاد؛ ينوح في صمت؛ فتغلبه الدموع.

فبينا هو كذلك؛ إذ سرت فيه رعشة من كبرياء؛ ورغبة في صعود الروح إلى السماء؛ جلجلت صيحة العهد؛ تنفض غبار السنين.. (والله لئن أشهدني الله مشهداً ليرينّ الله ما أصنع).. حان الوداع؛ اليوم ألقى أحبتي؛ وأختم قصتي؛ وحين أقبل العدو بخيله ورجله؛ نسي نفسه؛ رأى بعيني قلبه في تلك الجموع القليلة عرسه المنتظر؛ رأى الغرف العلى حين يضحك إليه رب العالمين؛ أنوار الجنة تتلألأ؛ ورياحينها تعبق؛ الحور تناديه: تعال تعال؛ قصر مشيد؛ ونهر مُطّرد؛ مقام أبدي؛ وخلود سرمدي؛ لا شقاء ولا موت؛ نعيم دائم؛ وسرور لا يزول؛ سار إلى الجموع كأنه على موعد مع محبوب هو له مشتاق؛ تهادى نحو العدو متبختراً؛ حاملاً عليهم؛ داخلاً بجسده فيهم؛ طالباً للموت وسط أمواج العدو المتلاطمة؛ هنيئاً لك انضمامك لقافلة الشهداء؛ اليوم تلقي عنك نَصَب الدنيا؛ قد آن لك أن تستريح.

وهناك...

مع موكب الأرواح الزكية؛ ترى الأحبة؛ ويحلو حديث الذكريات؛ تسرح مع الطيور الخضر من الجنة حيث شاءت؛ ترد أنهارها؛ وتأكل من ثمارها؛ وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش؛ قد زالت الدنيا وزال بلاؤها؛ ذهب الألم والكد والتعب؛ وطاب المأكل والمشرب والمقيل؛ حين يطلع إليهم الرحمن اطلاعة؛ فيسألهم: (هل تشتهون شيئاً)..

فهل بعد هذا يزهد أحد في الجهاد؛

أو يجبن عند الحرب.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة» رواه البخاري.

حِيْنَ يَرْتَدُّ الرِّثَاءُ صَدَى...

الكلمات التي تخرج من القلب، لا بد أن تستقر في قلبٍ يشبهه. حين كتبتُ (إنه يرثي نفسه)، كنت أظنني أخطُّ وجعاً فردياً، فإذا بهذا (التعقيب) يأتيني كزفرةٍ حرّى تحت عنوان (وأنا من يرثيني). هو ليس مجرد ردٍّ، بل هو صدى الروح حين تجد من يقاسمها الشجن، ومشاركةٌ وجدانية أثبتت أن الحزن حين يُكتب، يصبح جسراً تعبر عليه القلوب الكسيرة لتلتقي. أحياناً نكتب لنشفى، فنجد أن

حروفنا قد فتحت جراحاً لم نكن نعلم بوجودها لدى الآخرين. أضع بين أيديكم هـذه المناجـاة الـتي لمسـت روحـي قبـل أن تلمـس ورقـي، إنهـا مـرآةُ الـروح: حين يجد الوجعُ توأمَهُ.

يقول صاحب المناجاة:

وَأَنَا مَنْ يَرْثِيْنِي...

ها قد قاربتُ الأربعين، وأنا أطالع صمتك وأنينك المكتوم بين السطور، أجد نفسي أضمُّ حسراتك وهموم صدرك في قلبي، فتنوح الروح لنوحك مرتين؛ لأنها تشبهك، ولأنها تشعر بك..

فأرثيـك قبـل أن يرثيـك الزمـان، وأنا أدرك أنـك تخـوض دروب الألم وحـدك، وتتيه في الغربة بين ذكريات الأحبة، بين صولاتهم وأشواقك..

أرثيك عن كل لحظة فقد فيها قلبك دفء خليل، وعن كل دمعة لم تجد من يمسحها، وعن كل ألم صامتٍ تصارعه..

أرفع يديّ نحو السماء أدعو لروحك المثقلة، أواسي قلبك الذي لم يعرف راحة الدنيا، وأقول له: اعلم وأنت خلف أستار الغيوب أن دعواتي تحيط بك.. تحتضنك في نومك.. وتسير معك أينما ذهبت وحيثما حللت وارتحلت..

لقد كنت هناك... تعيش، تحب، يسرك المسير نحو الخلود السرمدي.. بروحٍ تعرف الطريق إلى الله جيدا، فتلك هي عظمتك وكبرياؤك..

جهادك، وصبرك، وإحساسك بالغربة ورغبتك في صعود الروح إلى السماء؛ أنوار لا تنطفئ، وحياة لا تُقاس بالسنين، ولا يُحصيها إلا رب العالمين..

ها أنذا أرثيك لأنك ستبقى حيًّا فيّ؛ حيًّا في كل شعور، حيًّا في كل نبض..

وأنا، إذ أرثيك، أستمد من صمتك شجاعة، ومن دمعك صمودًا، ومن بُعدك حبًّا للحياة رغم الألم، لأكون على موعد معك في رحاب الخلود التي طالما حلمت بها روحك بإذن الله تعالى..

وإن كان لكلِّ إنسانٍ من يرثيه بعد الرحيل، فإن بعض الأرواح لا نرثيها لأنها غابت، بل لأن رحيلها يكسر فينا أشياء لا تجبر، ويذبل في أعماقنا كل ما كان عامرًا بها..

أرثيك، لا لأنك ستغدو ذكرى، بل لأنك ستحيا في القلب حياةً أخرى، حضورًا لا تطفئه المسافات، ولا يُسقطه الغياب..

وَلَكِنْ... أَنَا مَنْ يَرْثِينِي؟!

ومن يُعزّي روحًا تخشى الفقد، إذا كان راحِلُها بعضَها؟

خاتمة

وَصِيَّةُ مُوَدِّعٍ...

قال: يا أبتِ؛ أوصني واجتهد لي،
عسى الله أن ينفعني بوصيتك.

قلتُ: يا بنيّ..
خُلِقْنا لنحيا شامِخينَ أعزةً
ففِيمَ يَهونُ المرءُ أو ينحني الحُرُّ...
أوصيك (بتحقيق التوحيد) علماً وعملاً، قولاً وفِعلاً،
عِشْ حرَّاً عزيراً شجاعاً أبيَّاً.
فلا تخافنَّ إلا الله.
ولا ترجونَّ إلا الله.

يا بنيَّ..
إنها الجنةُ تبغي ثَمَنا
عزّ إلا مِن شرايينِ الشهيد...
قاتِل في سبيل الله والمستضعفين والأسارى، قاتِل من كفر بالله، قاتل طواغيت الحكم وجنودهم، واحرص على الشهادة في سبيل الله، فإن استطعت ألّا تموتنَّ على فراشك فافعل، فالسعيد من اتخذه الله شهيداً.

يا بنيَّ..

وشرُّ سلاحِ المرءِ دمعٌ يُفيضُه

إذا الحربُ شُبَّتْ نارُها بالصَّوارِمِ..

ذُلَّ مَنْ لَا سَيْفَ لَهُ..

هذا الطاغوت لا يفقه إلا لغة الحديد والنار..

أوصيك بحيازة بندقية كلاشينكوف..

وعشرة شواجير (مخازن) بذخيرتها..

وأربعة قنابل يدوية..

ليوم كريهةٍ وسدادِ ثغر.

قال:

يا أبتِ كأنها وصية مودع.

قلت:

هو ذاك.

بيت المقدس